حِمَايَةُ الأَوْطَانِ

بَيْنَ فَرْضِ الْعَيْنِ وَفَرْضِ الْكِفَايَةِ

جمع وترتيب

من خطب ومحاضرات

فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله ورعاه

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

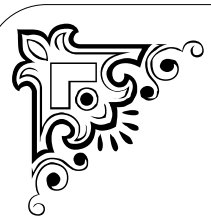

فَضْلُ الْجِهَادِ الشَّرْعِيِّ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى

فَقَدِ امْتَحَنَ اللهُ جَلَّوَعَلَا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَاةِ وَالسُّجُودِ وَالرُّكُوعِ فَاسْتَجَابُوا طَائِعِينَ.

وَامْتَحَنَهُمْ بِالزَّكَاةِ، وَدَفْعِ الْمَالِ فَاسْتَجَابُوا طَائِعِينَ.

وَامْتَحَنَهُمْ بِالْحَجِّ وَالصَّوْمِ، وَتَرْكِ الشَّهَوَاتِ فَلَبَّوْا كَذَلِكَ طَائِعِينَ.

ثُمَّ جَاءَ الِامْتِحَانُ الْأَكْبَرُ وَالِاخْتِبَارُ الْأَعْظَمُ، فَكَانَ أَنْ طَلَبَ مِنْهُمْ أَرْوَاحَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ؛ يَبْذُلُونَهَا فِي سَاحَاتِ الْجِهَادِ، فَتَقَدَّمَ أَقْوَامٌ وَتَأَخَّرَ آخَرُونَ!

تَأَخَّرَ الْمُنَافِقُونَ: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة: ٨٦].

وَتَقَدَّمَ الصَّادِقُونَ، قَالَ جَلَّوَعَلَا: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [التوبة: ٨٨].

فَفَرَّقَ اللهُ ﷻ بِالْجِهَادِ بَيْنَ الصَّادِقِينَ وَالْكَاذِبِينَ، بَيْنَ الْمُحِبِّينَ للهِ وَرَسولِهِ ﷺ وَالْمُدَّعِينَ.

إِنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ هُوَ أَعْظَمُ الْأَعْمَالِ وَأَزْكَاهَا، وَهُوَ أَيْسَرُ الطُّرُقِ إِلَىٰ رِضْوَانِ اللهِ تَعَالَىٰ وَالْجَنَّةِ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْلا أَنْ يَشُقَّ عَلَىٰ الْمُسلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلافَ سَرِيَّةٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدَدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلَ**». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»(١).

وَلَمَّا كَانَ الْجِهَادُ بَذْلَ أَعْظَم وَأَنْفَس مَا عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ وَهِيَ أَنْفُسُهُمْ يَبْذُلُونَهَا دُونَ خَوْفٍ وَلَا تَرَدُّدٍ، وَلَمَّا كَانَ فِيهِ بَذْلُ الْأَمْوَالِ، وَتَرْكُ الزَّوْجَاتِ وَالذُّرِّيَّاتِ، وَهَجْرُ الْمَسَاكِنِ وَالْأَوْطَانِ وَالْمَلَذَّاتِ.

وَلَمَّا كَانَ فِيهِ قَتْلُ الْأَنْفُس وَإِرَاقَةُ الدِّمَاءِ؛ كَانَ حَرِيًّا بِالشَّرْعِ أَنْ يَضَعَ لَهُ أَعْظَمَ الضَّوَابِطِ وَأَقْوَىٰ الْأَحْكَام؛ حَتَّىٰ لَا تُرَاقَ الدِّمَاءُ فِي كُلِّ وَادٍ وَبِكُلِّ سَبِيل، وَحَتَّىٰ لَا يَخْتَلِطَ الْحَابِلُ بِالنَّابِل، وَلَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِيمَ قَتَلَ! وَلَا الْمَقْتُولُ فِيمَ قُتِلَ!

إِنَّ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ وَأَرْوَاحَهُمْ هِيَ أَعْظَمُ شَيْءٍ عِنْدَ اللهِ؛ لِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَزَوَالُ الدُّنيَا أَهوَنُ عَلَىٰ اللهِ مِنْ قَتْل رَجُل مُسْلِم**»(٢). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

---

(١) «صَحِيحُ مُسْلِم» (رَقْم ١٨٧٦).

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «الْجَامِعِ» (رَقْم ١٣٩٥)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْمُجْتَبَىٰ» (٧/ ٨٢)، مِنْ حَدِيثِ: عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا ابْنُ مَاجَه فِي «السُّنَنِ» (رَقْم ٢٦١٩)، مِنْ حَدِيثِ: الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، بِنَحْوِهِ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ» (رَقْم ٢٤٣٨، و٢٤٣٩).

وَقَالَ ﷺ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ: «**مَا أَطْيَبَكِ! وَأَطْيَبَ رِيحَكِ! مَا أَعْظَمَكِ! وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ! وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ حُرْمَةً مِنْكِ؛ مَالِهِ وَدَمِهِ**»(١).

وَقَدْ بَيَّنَ الدِّينُ الْعَظِيمُ -كِتَابًا وَسُنَّةً- أَنَّ الْجِهَادَ لَيْسَ غَايَةً فِي حَدِّ ذَاتِهِ وَإِنَّمَا هُوَ وَسِيلَةٌ.

فَالْجِهَادُ لَيْسَ هَدَفًا فِي ذَاتِهِ وَلَا غَايَةً، إِنَّمَا هُوَ وَسِيلَةٌ لِرَفْعِ رَايَةِ الدِّينِ، وَهُوَ وَسِيلَةٌ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.(*).

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ الْجِهَادَ مِنْ أَفْضَلِ الْقُرُبَاتِ، وَمِنْ أَعْظَمِ الطَّاعَاتِ، بَلْ هُوَ أَفْضَلُ مَا تَقَرَّبَ بِهِ الْمُتَقَرِّبُونَ، وَتَنَافَسَ فِيهِ الْمُتَنَافِسُونَ بَعْدَ الْفَرَائِضِ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ نَصْرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِعْلَاءِ كَلِمَةِ الدِّينِ، وَقَمْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ.

وَقَدْ سَمَّاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تِجَارَةً رَابِحَةً، وَجَعَلَهُ سَبَبًا لِنَجَاةِ الْعَبْدِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الصف: ١٠- ١١].

---

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَه (رَقْم ٣٩٣٢)، مِنْ حَدِيثِ: عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَتَمَامُهُ: «...، **وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إِلَّا خَيْرًا**»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ» (رَقْم ٢٤٤١).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةِ: «تَفْجِيرَاتُ بُرُوكْسِل بَيْنَ الْغَدْرِ وَالْخِيَانَةِ» - الْجُمُعَةُ ١٦ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ ١٤٣٧هـ/ ٢٥-٣-٢٠١٦م.

وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ قَوْلُهُ ﷺ: «**لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**»(١).

وَقَالَ ﷺ -كَمَا أَخْرَجَ ذَلِكَ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»(٢)-: «**مَا اغْبَرَّتْ قَدَمَا عَبْدٍ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَمَسُّهُ النَّارُ**».

وَقَالَ ﷺ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ**»(٣).

فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ - وَغَيْرُهَا- تَدُلُّ عَلَىٰ فَضْلِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَا جَعَلَ اللهُ فِيهِ مِنَ الْأُجُورِ الْعَظِيمَةِ، وَالتِّجَارَةِ الرَّابِحَةِ.(*).

* **وَفِي بَيَانِ عِظَمِ مَنْزِلَةِ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ ﷻ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾** [آل عمران: ١٦٩].

وَلَا تَظُنَّنَّ يَا رَسُولَ اللهِ، وَيَا كُلَّ مُؤْمِنٍ مِنْ أُمَّتِهِ، أَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا كَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ لَمْ يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللهِ، بَلْ هُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ فِي مَحَلِّ كَرَامَتِهِ

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (رَقْم ٢٧٩٤) وَمَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ (رَقْم ١٨٨١)، مِنْ حَدِيثِ: سَهْل بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه، وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَيْضًا مِنْ رِوَايَةِ: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما، وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ رِوَايَةِ: أَبِي أَيُّوبَ رضي الله عنه.

(٢) «صَحِيحُ الْبُخَارِيّ» (رَقْم ٩٠٧ و٢٨١١)، من حَدِيث: أَبي عَبْسٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَبْرٍ رضي الله عنه.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ (رَقْم ١٢٣) ومَوَاضِعَ، ومُسْلِم (رَقْم ١٩٠٤)، من حَدِيث: أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «مِنْ فِقْهِ الدَّعْوَةِ» - الْمُحَاضَرَةُ ١٤ - الْجُمُعَةُ ١٩ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣١هـ/ ٥-٣-٢٠١٠م.

وَفَضْلِهِ، يُرْزَقُونَ، وَيَأْكُلُونَ، وَيَتَنَعَّمُونَ مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ وَتُحَفِهَا.

إِنَّهُمْ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَانُوا رِجَالًا صَابِرِينَ، إِنَّهُمْ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الَّتِي يَحْيَوْنَهَا يَشْعُرُونَ بِسَعَادَةٍ عَظِيمَةٍ بِمَا أَعْطَاهُمُ اللهُ مِنَ الثَّوَابِ وَالْكَرَامَةِ فِي دَارِ النَّعِيمِ.

﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٧٠].

وَهُمْ يَفْرَحُونَ بِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَرَكُوهُمْ أَحْيَاءً فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ مَنْهَجِ الْإِيمَانِ وَالْجِهَادِ؛ لِعِلْمِهِمْ بِأَنَّهُمْ إِذَا اسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ مُخْلِصِينَ لَهُ لَحِقُوا بِهِمْ، وَنَالُوا مِنَ الْكَرَامَةِ مِثْلَ الَّذِينَ نَالُوهُ، وَأَنَّهُمْ لَا خَوْفَ مُسَلَّطٌ عَلَيْهِمْ فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَ مِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ، وَلَا يَحْزَنُونَ عَلَىٰ مَا فَاتَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «التَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [آل عمران: ١٦٩-١٧٠].

الْجِهَادُ الشَّرْعِيُّ بَيْنَ فَرْضِ الْعَيْنِ وَفَرْضِ الْكِفَايَةِ

قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

هَذَا إِيجَابٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ لِلْجِهَادِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ، أَنْ يَكُفُّوا شَرَّ الْأَعْدَاءِ عَنْ حَوْزَةِ الْإِسْلَامِ.

وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: «الْجِهَادُ وَاجِبٌ عَلَىٰ كُلِّ أَحَدٍ، غَزَا أَوْ قَعَدَ؛ فَالْقَاعِدُ عَلَيْهِ إِذَا اسْتُعِينَ أَنْ يُعِينَ، وَإِذَا اسْتُغِيثَ أَنْ يُغِيثَ، وَإِذَا اسْتُنْفِرَ أَنْ يَنْفِرَ، وَإِنْ لَمْ يُحْتَجْ إِلَيْهِ قَعَدَ»(١). وَسَنَدُهُ إِلَيْهِ حَسَنٌ.

---

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٢/ ٣٨٢، رَقْم ٢٠١٥)، بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، فِي قَوْلِ اللهِ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾، قال: «**فَالْجِهَادُ مَكْتُوبٌ عَلَىٰ كُلِّ أَحَدٍ غَزَا أَوْ قَعَدَ، فَالْقَاعِدُ عُدَّةٌ، إِنِ اسْتُعِينَ بِهِ أَعَانَ، وَإِنِ اسْتُغِيثَ بِهِ أَغَاثَ، وَإِنِ اسْتُنْفِرَ نَفَرَ، وَإِنِ اسْتُغْنِيَ عَنْهُ قَعَدَ**».

وَالْأَثَرُ عَزَاهُ السُّيُوطِيُّ فِي «الدُّرِّ الْمَنْثُورِ» (١/ ٢٤٤) لابْنِ الْمُنْذِرِ فِي «تَفْسِيرِهِ».

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «وَلِهَذَا ثَبَتَ فِي «الصَحِيحِ»(٢): «**مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالْغَزْوِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**».

وَقَالَ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ: «**لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، إِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٣).

وَقَوْلُهُ: ﴿**وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ**﴾ أَيْ: شَدِيدٌ عَلَيْكُمْ وَمَشَقَّةٌ، وَهُوَ كَذَلِكَ، فَإِنَّهُ إِمَّا أَنْ يُقْتَلَ أَوْ يُجْرَحَ، مَعَ مَشَقَّةِ السَّفَرِ، وَمُجَالَدَةِ الْأَعْدَاءِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ**﴾ أَيْ: لِأَنَّ الْقِتَالَ يَعْقُبُهُ النَّصْرُ وَالظَّفَرُ عَلَىٰ الْأَعْدَاءِ، وَالِاسْتِيلَاءُ عَلَىٰ بِلَادِهِمْ، وَأَمْوَالِهِمْ، وَذَرَارِيِّهِمْ، وَأَوْلَادِهِمْ.

﴿**وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ**﴾: وَهَذَا عَامٌّ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، قَدْ يُحِبُّ الْمَرْءُ شَيْئًا، وَلَيْسَ لَهُ فِيهِ خِيرَةٌ وَلَا مَصْلَحَةٌ، وَمِنْ ذَلِكَ الْقُعُودُ عَنِ الْقِتَالِ، قَدْ يَعْقُبُهُ اسْتِيلَاءُ الْعَدُوِّ عَلَىٰ الْبِلَادِ وَالْحُكْمِ.

---

(١) «تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ» (١/ ٥٧٣).

(٢) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (رَقْم ١٩١٠)، من حَدِيث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بلفظ: «**مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَىٰ شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ**».

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ (رَقْم ٣٩٠٠ و٤٣١٢)، ومُسْلِم (رَقْم ١٨٦٤)، من حَدِيث: عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، والحَدِيث بِنَحْوِهِ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَيْضًا مِنْ رِوَايَةِ: مُجَاشِع بْنِ مَسْعُودٍ السُّلَمِيِّ وابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وفِي «صحيح الْبُخَارِيّ» مِنْ رِوَايَةِ: ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أَيْ: هُوَ أَعْلَمُ بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ مِنْكُمْ، وَأَخْبَرُ بِمَا فِيهِ صَلَاحُكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ وَأُخْرَاكُمْ؛ فَاسْتَجِيبُوا لَهُ، وَانْقَادُوا لِأَمْرِهِ، لَعَلَّكُمْ تَرْشُدُونَ.(*).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

وَقَاتِلُوا -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي طَاعَةِ اللهِ- الَّذِينَ أَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَيُقَاتِلُونَكُمْ، وَيَفْتِنُونَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكُمْ فِي دِينِهِمْ؛ لِيَرُدُّوهُمْ كُفَّارًا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ، وَاجْعَلُوا قِتَالَكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَرَفْعِ كَلِمَتِهِ، وَلَا تَجْعَلُوهُ لِلْعُدْوَانِ، وَلَا تَقْتُلُوا النِّسَاءَ، وَالصِّبْيَانَ، وَالشُّيُوخَ، وَالرُّهْبَانَ، وَلَا مَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ.

وَلَا تَعْتَدُوا بِظُلْمِ غَيْرِكُمْ فِي حَقٍّ مِنْ حُقُوقِهِ الْمَادِيَّةِ أَوِ الْمَعْنَوِيَّةِ، أَوْ بِفِعْلِ مَا نَهَىٰ اللهُ عَنْ فِعْلِهِ، وَتَرْكِ مَا أَمَرَ اللهُ بِفِعْلِهِ، وَبِتَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللهُ، وَتَحْلِيلِ مَا حَرَّمَ؛ إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَا يُحِبُّ الَّذِينَ يُجَاوِزُونَ حُدُودَهُ، فَيَسْتَحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَمَنْ جَعَلَ نَفْسَهُ بِإِرَادَتِهِ فِي زُمْرَةِ الَّذِينَ لَا يُحِبُّهُمُ اللهُ فَقَدْ جَعَلَهَا عُرْضَةً لِنِقْمَتِهِ وَعَذَابِهِ الشَّدِيدِ.(*/٢).

وَأَمَرَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا الْمُؤْمِنِينَ إِذَا أُمِرُوا بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يَخْرُجُوا بِهِمَّةٍ وَنَشَاطٍ، قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ «تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ - تَفْسِيرُ سُورَةِ الْبَقَرَة» - الْمُحَاضَرَةُ ٢٠ - الْأَحَدُ ٢٠ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٨هـ/ ٢٠-١١-٢٠١٦م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [البقرة: ١٩٠].

وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٤١].

إِذَا أُمِرْتُمْ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- أَنْ تَخْرُجُوا مِنْ مَكَانِ إِقَامَتِكُمْ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ فَاخْرُجُوا بِهِمَّةٍ وَنَشَاطٍ عَلَىٰ الصِّفَةِ الَّتِي يَخِفُّ عَلَيْكُمُ الْجِهَادُ فِيهَا، كَأَنْ يَكُونَ خُرُوجُكُمْ دَعْوَةً إِلَىٰ دِينِ اللهِ، أَوِ اسْتِطْلَاعًا لِأَخْبَارِ الْعَدُوِّ، أَوْ مُنَاوَشَةً خَفِيفَةً تَعْتَمِدُ عَلَىٰ الْكَرِّ وَالْفَرِّ.

وَاخْرُجُوا بِهِمَّةٍ وَنَشَاطٍ عَلَىٰ الصِّفَةِ الَّتِي يَثْقُلُ عَلَيْكُمُ الْجِهَادُ فِيهَا، كَأَنْ يَكُونَ النَّافِرُ ثَقِيلًا بِعَتَادٍ وَأَسْلِحَةٍ وَمَؤُونَةٍ.

وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَاخْرُجُوا عَلَىٰ الصِّفَتَيْنِ خِفَافًا وَثِقَالًا.

ذَلِكُمُ الْخُرُوجُ مِنْ مَكَانِ الْإِقَامَةِ، وَالْجِهَادُ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ أَكْثَرُ نَفْعًا وَفَائِدَةً لَكُمْ مِنَ الْقُعُودِ، وَالْإِمْسَاكِ، وَإِيثَارِ السَّلَامَةِ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ مَا يُعْطِيكُمُ اللهُ مِنْ خَيْرٍ عَاجِلٍ وَآجِلٍ عِلْمَ يَقِينٍ.

فَإِنَّكُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ ذَلِكَ كَذَلِكَ؛ عَلِمْتُمْ أَنَّ النَّفْرَ وَالْجِهَادَ؛ طَاعَةً لِلرَّسُولِ أَوْ لِأَمِيرِكُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَكْثَرُ نَفْعًا وَفَائِدَةً لَكُمْ، فَلَمْ تُقَصِّرُوا بِالْقِيَامِ بِهَذَا الْوَاجِبِ الْجِهَادِيِّ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» -[التوبة: ٤١].

وَيَكُونُ الْجِهَادُ فَرْضًا عَلَى الْكِفَايَةِ، إِذَا قَامَ بِهِ قَوْمٌ، سَقَطَ عَنِ الْبَاقِينَ فِي حَالَاتٍ(١)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي

---

(١) قَالَ ابْنُ قُدَامَةَ فِي «الْمُغْنِي» (١٣/ ٦-٧، مَسْأَلَة ١٦١٩) فِي قَوْلِ الْخِرَقِيِّ: «وَالْجِهَادُ فَرْضٌ عَلَىٰ الْكِفَايَةِ، إِذَا قَامَ بِهِ قَوْمٌ، سَقَطَ عَنْ الْبَاقِينَ»، قال: «الْجِهَادُ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَاتِ، **فِي قَوْلِ عَامَّةِ أَهْلِ الْعِلْمِ**؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الْقَاعِدِينَ غَيْرُ آثِمِينَ مَعَ جِهَادِ غَيْرِهِمْ، وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾ [**التوبة: ١٢٢**]؛ وَلِأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَبْعَثُ السَّرَايَا، وَيُقِيمُ هُوَ وَسَائِرُ أَصْحَابِهِ».

وَقَالَ ابْنُ رُشْدٍ فِي «بِدَايَةِ الْمُجْتَهِدِ» (٢/ ١٤٣) فِي حُكْمِ وَظِيفَةِ الْجِهَادِ: «أَمَّا حُكْمُ هَذِهِ الْوَظِيفَةِ: **فَأَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَىٰ أَنَّهَا فَرْضٌ عَلَىٰ الْكِفَايَةِ لَا فَرْضُ عَيْنٍ**، إِلَّا عَبْدَ اللهِ بْنَ الْحَسَنِ، فَإِنَّهُ قَالَ: إِنَّهَا تَطَوُّعٌ، وَإِنَّمَا صَارَ الْجُمْهُورُ لِكَوْنِهِ فَرْضًا؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [**البقرة: ٢١٦**] الْآيَةَ، وَأَمَّا كَوْنُهُ فَرْضًا عَلَىٰ الْكِفَايَةِ، أَعْنِي: إِذَا قَامَ بِهِ الْبَعْضُ سَقَطَ عَنِ الْبَعْضِ فَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾ الْآيَةَ، وَقَوْلِهِ: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، وَلَمْ يَخْرُجْ قَطُّ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْغَزْوِ إِلَّا وَتَرَكَ بَعْضَ النَّاسِ، فَإِذَا اجْتَمَعَتْ هَذِهِ اقْتَضَىٰ ذَلِكَ كَوْنَ هَذِهِ الْوَظِيفَةِ فَرْضًا عَلَىٰ الْكِفَايَةِ».

قَالَ ابْنُ عَطِيَّة فِي «تَفْسِيره» (١/ ٢٨٩): «وَالَّذِي اسْتَمَرَّ عَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ أَنَّ الْجِهَادَ عَلَىٰ كُلِّ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَرْضُ كِفَايَةٍ، فَإِذَا قَامَ بِهِ مَنْ قَامَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَقَطَ عَنِ الْبَاقِينَ، إِلَّا أَنْ يَنْزِلَ الْعَدُوُّ بِسَاحَةِ الْإِسْلَامِ فَهُوَ حِينَئِذٍ فَرْضُ عَيْنٍ»، وَحَكَاهُ الْقُرْطُبِيُّ فِي «تَفْسِيره» (٣/ ٣٨) عَنْ جُمْهُورِ الْأُمَّةِ أَنَّهُ عَلَىٰ الْكِفَايَةِ.

سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٥](١).

لَا يَتَسَاوَىٰ الْمُتَخَلِّفُونَ عَنِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، غَيْرُ أَصْحَابِ الْأَمْرَاضِ وَالْعِلَلِ الَّتِي لَا سَبِيلَ مَعَهَا إِلَىٰ الْجِهَادِ؛ مِنْ نَحْوِ عَمًى، أَوْ شَلَلٍ، أَوْ عَرَجٍ، أَوْ ضَعْفِ بَدَنٍ، لَا يَسْتَوِي الْمُتَخَلِّفُونَ عَنِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ هَؤُلَاءِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، فَإِنَّهُمْ يُسَاوُونَ الْمُجَاهِدِينَ؛ لِأَنَّ الْعُذْرَ أَقْعَدَهُمْ عَنِ الْجِهَادِ.

فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَالْقَاعِدِينَ مِنْ أَهْلِ الْأَعْذَارِ؛ وَعَدَ اللهُ الْجَنَّةَ، وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ عَلَىٰ الْقَاعِدِينَ الَّذِينَ لَا عُذْرَ لَهُمْ وَلَا ضَرَرَ فِيهِمْ ثَوَابًا جَزِيلًا.(*).

---

(١) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «تَفْسِيره» (٢/ ٣٨٨) فِي قَوْله: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، قال: «أَيِ: الْجَنَّةَ وَالْجَزَاءَ الْجَزِيلَ، وَفِيهِ دِلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّ الْجِهَادَ لَيْسَ بِفَرْضِ عَيْنٍ بَلْ هُوَ فَرْضٌ عَلَىٰ الْكِفَايَةِ».

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في «أضواء البيان» (١/ ٢٤٨): «يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: أَنَّ الْجِهَادَ فَرْضُ كِفَايَةٍ لَا فَرْضُ عَيْنٍ؛ لِأَنَّ الْقَاعِدِينَ لَوْ كَانُوا تَارِكِينَ فَرْضًا لَمَا نَاسَبَ ذَلِكَ وَعْدَهُ لَهُمُ الصَّادِقَ بِالْحُسْنَىٰ ؛ وَهِيَ الْجَنَّةُ وَالثَّوَابُ الْجَزِيلُ».

وهذه الآية نحوُ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [النساء: ٩٥].

وَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢](١).

لَيْسَ مِنْ شَأْنِ الْمُؤْمِنِينَ الْعَامِلِينَ بِوَصَايَا اللهِ ﷻ أَنْ يَخْرُجُوا جَمِيعًا إِلَىٰ الْجِهَادِ -هَذَا عَلَىٰ الْأَصْلِ أَنَّ النَّفِيرَ نَفِيرُ جِهَادٍ-؛ لِئَلَّا يَتَعَرَّضُوا لِاحْتِمَالِ الِاسْتِئْصَالِ إِذَا ذَهَبُوا فَهُزِمُوا.

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «السُّنَنِ» -كِتَابُ الْجِهَادِ، بَابٌ فِي نَسْخِ نَفِيرِ الْعَامَّةِ بِالْخَاصَّةِ- (رَقْم ٢٥٠٥)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قوله: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [التوبة: ٣٩]، وَ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾، إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٢٠- ١٢١]، قَالَ: «نَسَخَتْهَا الْآيَةُ الَّتِي تَلِيهَا: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾»، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (٧/ رَقْم ٢٢٦٣).

وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ فِي «تَفْسِيرِه» (١٤/ ٥٦٣)، وابْن أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِه» (٦/ ١٩٠٧)، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ فِي قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٢٠]، قَالَ: «هَذَا حِينَ كَانَ الْإِسْلَامُ قَلِيلًا لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا كَثُرَ الْإِسْلَامُ وَفَشَا قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾»، وهو أَيْضًا قولُ مُجاهِدٍ وَقَتادَةَ وعِكْرِمَةَ، وَالرَّبِيعِ وَالضَّحَّاكِ وَالسُّدِّيِّ وَغَيْرِهِمْ، وَانْظُرْ: «تَفْسِيرَ ابْنِ كَثِيرٍ» (٤/ ٢٣٥).

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٨/ ٢٩٣) فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، قَالَ: «هي أَنَّ الْجِهَادَ لَيْسَ عَلَىٰ الْأَعْيَانِ، وَأَنَّهُ فَرْضُ كِفَايَةٍ؛ إِذْ لَوْ نَفَرَ الْكُلُّ لَضَاعَ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنَ الْعِيَالِ، فَلْيَخْرُجْ فَرِيقٌ مِنْهُمْ لِلْجِهَادِ، وَلْيُقِمْ فَرِيقٌ يَتَفَقَّهُونَ فِي الدِّينِ وَيَحْفَظُونَ الْحَرِيمَ، حَتَّىٰ إِذَا عَادَ النَّافِرُونَ أَعْلَمَهُمُ الْمُقِيمُونَ مَا تَعَلَّمُوهُ مِنْ أَحْكَامِ الشَّرْعِ، وَمَا تَجَدَّدَ نُزولُهُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ. وَهَذِهِ الآيةُ ناسِخَةٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ﴾ وَلِلْآيَةِ الَّتِي قَبْلَهَا».

فَهَلَّا خَرَجَ لِلْقِتَالِ إِذَا دَعَا دَاعِي الْقِتَالِ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ جَمَاعَةٌ مُحَدَّدَةٌ بِعَدَدِهَا وَتَخَصُّصَاتِهَا؛ لِيَتَفَقَّهُوا عَنْ طَرِيقِ التَّجَارِبِ وَالْمُمَارَسَاتِ الْعَمَلِيَّةِ فِي أُمُورِ الْقِتَالِ وَفُنُونِ الْحَرْبِ، وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ مِنَ الْغَزْوِ بِمَا اكْتَسَبُوا مِنْ مَعْلُومَاتٍ يُعْتَبَرُ الْجَهْلُ بِهَا ثُغْرَةَ خَطَرٍ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ وَالْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ؛ رَجَاءَ أَنْ يَحْذَرُوا مَوَاطِنَ الْخَطَرِ، فَيَتَّخِذُوا الْأَسْبَابَ وَالْوَسَائِلَ الْوَاقِيَةَ الْكَفِيلَةَ بِإِحْبَاطِ وَسَائِلِ الْأَعْدَاءِ، وَالْأَسْبَابَ وَالْوَسَائِلَ الَّتِي يُرْجَىٰ مِنْهَا تَحْقِيقُ النَّصْرِ مِمَّا يُبَاغِتُونَ الْأَعْدَاءَ بِهِ.(*).

وَقَدْ يَصِيرُ الْجِهَادُ فَرْضَ عَيْنٍ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، وَذَلِكَ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ(١):

الْأَوَّلُ: إِذَا نَزَلَ الْكُفَّارُ بِبَلَدٍ، تَعَيَّنَ عَلَى أَهْلِهِ قِتَالُهُمْ وَدَفْعُهُمْ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾ [الأنفال: ١٥](٢).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ، وَاتَّبَعُوا رُسُلَهُ! إِذَا قَابَلْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مُجْتَمِعِينَ، يَزْحَفُونَ زَحْفًا لِقِتَالِكُمْ، فَلَا تُدِيرُوا لَهُمْ ظُهُورَكُمْ مُنْهَزِمِينَ مِنْهُمْ، وَلَوْ كَانُوا أَكْثَرَ عَدَدًا وَعُدَّةً.(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»- [التوبة: ١٢٢].

(١) قَالَ ابْنُ قُدَامَةَ فِي «الْمُغْنِي» (١٣/ ٨): «وَيَتَعَيَّنُ الْجِهَادُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ...».

(٢) قَالَ ابْنُ قُدَامَةَ فِي «الْمُغْنِي» (١٣/ ٨): «وَيَتَعَيَّنُ الْجِهَادُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ»، وذكر منها: «إِذَا نَزَلَ الْكُفَّارُ بِبَلَدٍ، تَعَيَّنَ عَلَىٰ أَهْلِهِ قِتَالُهُمْ وَدَفْعُهُمْ»؛ لقوله تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾ [**الأنفال: ١٥**].

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [الأنفال: ١٥].

الثَّانِي: عِنْدَ النَّفِيرِ الْعَامِّ الْكُلُّ مُلْزَمٌ بِالنَّفْرِ؛ إِجَابَةً لِأَمْرِ الْإِمَامِ -الْحَاكِمِ-، إِلَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْأَعْذَارِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨](١).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَاتَّبَعُوا رَسُولَهُ! مَا لَكُمْ إِذَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ -أَوْ أَيُّ دَاعٍ مِنْ أُمَّتِهِ-: اخْرُجُوا إِلَىٰ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ مُسْرِعِينَ بِجِدٍّ وَنَشَاطٍ، تَثَاقَلْتُمْ وَتَبَاطَئْتُمْ عَنِ الْخُرُوجِ، مَائِلِينَ إِلَىٰ الْإِقَامَةِ بِأَرْضِكُمْ وَمَسَاكِنِكُمْ.

عَجَبًا لَكُمْ! أَرَضِيتُمْ بِسَعَةِ الْعَيْشِ، وَزَهْرَةِ الدُّنْيَا وَدَعَتِهَا بَدَلَ نَعِيمِ الْآخِرَةِ؟!!

إِذَا كُنْتُمْ رَضِيتُمْ ذَلِكَ؛ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي جَنْبِ الْآخِرَةِ بِالْقِيَاسِ عَلَيْهَا إِلَّا مَتَاعٌ قَلِيلٌ تَافِهٌ، لَا يَسْتَبْدِلُهُ الْعُقَلَاءُ، وَلَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يَكُونَ مَحَلَّ إِيثَارٍ وَتَفْضِيلٍ؛ إِذْ أَنَّ لَذَّاتِ الدُّنْيَا وَمَتَاعَهَا فَانٍ زَائِلٌ، يَنْفَدُ عَنْ قَرِيبٍ، وَنَعِيمُ الْآخِرَةِ بَاقٍ عَلَىٰ الْأَبَدِ.

وَيَدُلُّ تَوْجِيهُ هَذَا الْخِطَابِ الْإِلَهِيِّ إِلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ عَامَّةً عَلَىٰ **أَنَّ الْجَيْشَ فِي الْإِسْلَامِ هُوَ كُلُّ الْأُمَّةِ**، وَلَا يُعْفَىٰ مِنَ الْجُنْدِيَّةِ سِوَىٰ الضُّعَفَاءِ؛ لِعَجْزٍ أَوْ شَيْخُوخَةٍ أَوْ مَرَضٍ.

---

(١) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ [التوبة: ٣٨- ٣٩]، وَتَقَدَّمَ قَوْلُهُ ﷺ: «**لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، إِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا**».

هَذَا عِنْدَ النَّفِيرِ الْعَامِّ، عِنْدَمَا يَسْتَنْفِرُ الْإِمَامُ الْأُمَّةَ كُلَّهَا، فَأَمَّا أَصْحَابُ الْأَعْذَارِ فَلِأَعْذَارِهِمْ.

عِنْدَ النَّفِيرِ الْعَامِّ الْكُلُّ مُلْزَمٌ بِالنَّفْرِ إِجَابَةً لِأَمْرِ الْإِمَامِ.(*).

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ وُجُوبِ إِجَابَةِ الْإِمَامِ عِنْدَ النَّفِيرِ الْعَامِّ، قَوْلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ: «**لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، إِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١). (*/٢).

الثَّالِثُ: عِنْدَ لِقَاءِ الْعُدُوِّ: فَقَدْ أَمَرَ اللهُ وَرَسُولُهُ ﷺ بِالثَّبَاتِ عِنْدَ لِقَاءِ الْعَدُوِّ، فَهُوَ فَرْضُ عَيْنٍ حِينَئِذٍ، وَالْفِرَارُ مِنَ الْكَبَائِرِ؛ قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ﴾: إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً كَافِرَةً؛ فَحَذَفَ الْوَصْفَ اسْتِغْنَاءً لِدَلَالَةِ السِّيَاقِ عَلَيْهِ وَدَلَالَةِ الْحَالِ.

﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾: وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أَوْفَىٰ رضي الله عنه كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(٢) يَقُولُ: لَقِيَ النَّبِيُّ ﷺ فِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِهِ عَدُوًّا، فَانْتَظَرَ حَتَّىٰ مَالَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ خَرَجَ خَطِيبًا، فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ،**

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [الأنفال: ١٥].

(١) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ «تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ - تَفْسِيرُ سُورَةِ الْبَقَرَة» - الْمُحَاضَرَةُ ٢٠ - الْأَحَدُ ٢٠ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٨هـ/ ٢٠-١١-٢٠١٦م.

(٢) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» (رَقْم ٣٠٢٤ و٣٠٢٥) وَمَوَاضِعَ، وَ«صَحِيحُ مُسْلِم» (رَقْم ١٧٤٢)، وَالْحَدِيث فِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَيْضًا مِنْ رِوَايَةِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه بِنَحْوِهِ.

فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ**».

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ ﴾: فَأَوَّلُ شَرْطٍ مِنْ شُرُوطِ النَّصْرِ الثَّبَاتُ، وَمَا لِلْقَوْمِ لَا يَثْبُتُونَ وَقَدْ وَعَدَهُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِحْدَىٰ الْحُسْنَيَيْنِ: إِمَّا النَّصْرُ وَإِمَّا الشَّهَادَةُ؟!

فَجَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي الْحَيَاةِ عِزًّا، وَجَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي الْمَوْتِ مَآلًا وَنَصْرًا، وَجَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْعَطَاءَ مَوْصُولًا فِي الْحَالَيْنِ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةِ: «شُرُوطُ النَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ» - الْجُمُعَةُ ٦ مِنْ جُمَادَىٰ الثَّانِي ١٤٢٥هـ/ ٢٣-٧-٢٠٠٤م.

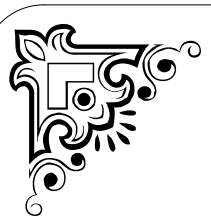

الْحُبُّ الْفِطْرِيُّ لِلْأَوْطَانِ

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ ذَاكِرًا الأَوْطَانَ وَمَوَاقِعَهَا فِي القُلُوبِ: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: ٦٦].

فَسَوَّىٰ بينَ قَتْلِ أَنْفُسِهِم والخُرُوجِ مِن دِيَارِهِم، وَأَخْبَرَ تَعَالَىٰ أَنَّهُ لو كَتَبَ علىٰ عِبَادِهِ الأَوَامِرَ الشَّاقَّةَ عَلَىٰ النُّفُوسِ مِن قَتْلِ النُّفُوسِ، والْخُرُوجِ مِنَ الدِّيَارِ لَمْ يَفْعَلْهُ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنْهُمْ وَالنَّادِرُ.

وَنَسَبَ اللهُ الدِّيَارَ إِلَىٰ مُلَّاكِهَا: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠].

وَلَو قَنَعَ النَّاسُ بِأَرْزَاقِهِمْ قَنَاعَتَهُمْ بِأَوْطَانِهِمْ، مَا اشْتَكَىٰ عَبْدٌ الرِّزْقَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ بِأَوْطَانِهِم أَقْنَعُ مِنْهُم بِأَرْزَاقِهِمْ.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ الْعَنْ شَيْبَةَ بنَ رَبِيعَةَ، وَعُتْبَةَ بنَ رَبِيعَةَ، وَأُمَيَّةَ بنَ خَلَفٍ؛ كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ دِيَارِنَا**».

فَدَعَا ﷺ أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ رَحْمَتِهِ مَنْ أَخْرَجَهُ مِنْ أَرْضِهِ، وَأَنْ يُبْعِدَ اللهُ مَنْ أَبْعَدَهُ عَنْ وَطَنِهِ.

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ**»(١).

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَه، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الْحَمْرَاءِ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ -وَهُوَ عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ بِمَكَّةَ- يَقُولُ: «**وَاللهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَىٰ اللهِ** ﷻ، **وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ**». وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

وَعِنْدَ ابْنِ مَاجَه: «**وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَيَّ**». صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ(٢). (*).

حُبُّ الوَطَنِ الْإِسْلَامِيِّ مِنْ تَقْوَى اللهِ ﷻ:

قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّد شَاكِر -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-(٣): «إِيَّاكَ أَنْ تَظُنَّ أَنَّ تَقْوَىٰ اللهِ هِيَ الصَّلَاةُ والصِّيَامُ وَنَحْوُهُمَا مِنَ الْعِبَادَاتِ فَقَطْ، إِنَّ تَقْوَىٰ اللهِ تَدْخُلُ فِي كُلِّ شَيْءٍ؛ فَاتَّقِ اللهَ فِي عِبَادَةِ مَوْلَاكَ، لَا تُفَرِّطْ فِيهَا.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (رَقْم ١٨٨٩)، وَمُسْلِمٌ (رَقْم ١٣٧٦)، بِلَفْظِ: «**اللَّهُمَّ العَنْ شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ؛ كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَىٰ أَرْضِ الوَبَاءِ**»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ**،...» الحَدِيثَ.

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (رَقْم ٣٩٢٥)، وَابْنُ مَاجَه (رَقْم ٣١٠٨)، وَصَحَّحَ إِسْنَادَهُ الْأَلْبَانِيّ فِي هامش «الْمِشْكَاةِ» (٢/ رَقْم ٢٧٢٥).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُلَخَّصٌ مِنْ كِتَابِ: «حُبِّ الْوَطَنِ الْإِسْلَامِيِّ مِنَ الْإِيمَانِ» - طَبْعَةُ مَكْتَبَةِ الْفُرْقَانِ الْمِصْرِيَّةِ، الطَّبْعَةُ الْأُولَىٰ ٢٠٠٨م.

(٣) «وَصَايَا الْآبَاءِ لِلْأَبْنَاءِ - الدُّرُوسُ الْأَوَّلِيَّةُ فِي الْأَخْلَاقِ الْمَرْضِيَّةِ» (ص٢٠، مَكْتَبَةُ الْمَعَارِفِ - الرِّيَاض ١٤١٣ هـ).

وَاتَّقِ اللهَ فِي إِخْوَانِكَ لَا تُؤْذِ أَحَدًا مِنْهُمْ.

وَاتَّقِ اللهَ فِي بَلَدِكَ، لَا تَخُنْهُ وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْهِ عَدُوًّا.

وَاتَّقِ اللهَ فِي نَفْسِكَ وَلَا تُهْمِلْ فِي صِحَّتِكَ، وَلَا تَتَخَلَّقْ بِسِوَىٰ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ».

*** اتَّقِ اللهَ فِي وَطَنِكَ:**

اتَّقِ اللهَ فِي وَطَنِكَ، لَا تَخُنْهُ وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْهِ عَدُوًّا، وَلَا تَدْفَعْهُ إِلَىٰ الْفَوْضَىٰ وَالشِّقَاقِ.

إِنِّي لِأَعْجَبُ كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَخُونَ الْخَائِنُونَ؟!!

أَيَخُونُ إِنْسَانٌ بِلَادَهُ؟!!

إِنْ خَانَ مَعْنَىٰ أَنْ يَكُونَ، فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ؟!!

وَقَدْ تَضِيقُ أَخْلَاقُ الرَّجُلِ فَيَظُنُّ أَنَّ وَطَنَهُ قَدْ ضَاقَ بِهِ، وَالْحَقُّ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ الْقَدِيمُ(١):

وَرَبِّكَ مَا ضَاقَتْ بِلَادٌ بِأَهْلِهَا ... وَلَكِنَّ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ تَضِيقُ

---

(١) البيت بِلَفْظِ: (**لَعَمْرُكَ مَا ضَاقَتْ بِلَادٌ بِأَهْلِهَا**...)، لعَمْرو بْنِ الْأَهْتَمِ بْنِ سُمَيِّ بْنِ سِنَانَ، أبو ربعيٍّ التميميُّ: أحد الشعراء الخطباء في الجاهلية والإسلام، وَكَانَ فِي وَفْدِ بَنِي تَمِيمٍ الَّذِينَ قَدِمُوا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، انظر: «الْمُفَضَّلِيَّاتُ» (ص١٢٧، رَقْم ٢٣)، و«الشعر والشعراء» (٢/ ٦١٨، رَقْم ١١٨)، و«شرح ديوان الحماسة» للتبريزي (٢/ ٣٠١).

وَحَالُ مَنْ فَارَقَ وَطَنَهُ هُوَ:

شَوْقٌ يَخُضُّ دَمِي إِلَيْهِ، كَأَنَّ كُلَّ دَمِي اشْتِهَاء

جُوعٌ إِلَيْهِ.. كَجُوعِ دَمِ الغَرِيقِ إِلَىٰ الهَوَاء

شَوْقُ الجَنِينِ إِذَا اشْرَأَبَّ مِنَ الظَّلَامِ إِلَىٰ الوِلَادَه

إِنِّي لأَعْجَبُ كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَخُونَ الخَائِنُون

أَيَخُونُ إِنْسَانٌ بِلَادَه؟!!

إِنْ خَانَ مَعْنَىٰ أَنْ يَكُونَ، فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُون؟!!

الشَّمْسُ أَجْمَلُ فِي بِلَادِي مِن سِوَاهَا، وَالظَّلَام

حَتَّىٰ الظَّلَامُ هُنَاكَ أَجْمَلُ، فَهُوَ يَحْتَضِنُ الكِنَانَه

وَا حَسْرَتَاهُ!! مَتَىٰ أَنَام

فَأُحِسُّ أَنَّ عَلَىٰ الوِسَادَه

مِنْ لَيْلِكِ الصَّيْفِيِّ طَلًّا فِيهِ عِطْرُكِ يَا كِنَانَه؟

فَمَا دَامَ الْوَطَنُ إِسْلَامِيًّا فَيَجِبُ الدِّفَاعُ عَنْهُ، وَيَحْرُمُ الْإِضْرَارُ بِهِ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُلَخَّصٌ مِنْ كِتَابِ: «حُبِّ الْوَطَنِ الْإِسْلَامِيِّ مِنَ الْإِيمَانِ» - طَبْعَةُ مَكْتَبَةِ الْفُرْقَانِ الْمِصْرِيَّةِ، الطَّبْعَةُ الْأُولَىٰ ٢٠٠٨م.

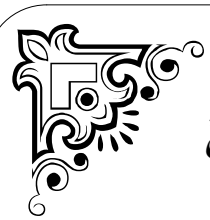

الدِّفَاعُ عَنْ وَطَنِنَا الْإِسْلَامِيِّ جِهَادٌ شَرْعِيٌّ

لَقَدْ عَرَّفَ الشَّيْخُ الصَّالِحُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ رَحِمَهُ اللَّهُ دَارَ الْإِسْلَامِ فِي مَعْرِضِ تَعْرِيفِهِ لِدَارِ الشِّرْكِ فَقَالَ: «بَلَدُ الشِّرْكِ هُوَ: الَّذِي تُقَامُ فِيهِ شَعَائِرُ الْكُفْرِ وَلَا تُقَامُ فِيهِ شَعَائِرُ الْإِسْلَامِ كَالْأَذَانِ وَالصَّلَاةِ جَمَاعَةً، وَالْأَعْيَادِ وَالْجُمُعَةِ عَلَىٰ وَجْهٍ عَامٍّ شَامِلٍ.

وَإِنَّمَا قُلْنَا عَلَىٰ وَجْهٍ عَامٍّ شَامِلٍ؛ لِيَخْرُجَ مَا تُقَامُ فِيهِ هَذِهِ الشَّعَائِرُ -يَعْنِي الْأَذَانَ وَالصَّلَاةَ جَمَاعَةً، وَالْأَعْيَادَ وَالْجُمُعَةَ- عَلَىٰ وَجْهٍ مَحْصُورٍ؛ كَبِلَادِ الْكُفَّارِ الَّتِي فِيهَا أَقَلِّيَّاتٌ مُسْلِمَةٌ فَإِنَّهَا لَا تَكُونُ بِلَادَ إِسْلَامٍ بِمَا تُقِيمُهُ الْأَقَلِّيَّاتُ الْمُسْلِمَةُ فِيهَا مِنْ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ، أَمَّا بِلَادُ الْإِسْلَامِ فَهِيَ الْبِلَادُ الَّتِي تُقَامُ فِيهَا هَذِهِ الشَّعَائِرُ عَلَىٰ وَجْهٍ عَامٍّ شَامِلٍ»(١).

فَبِلَادُنَا بِلَادٌ إِسْلَامِيَّةٌ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

قَالَ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «الْأَمْرُ كَمَا ذَكَرَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي بَعْضِ فُصُولِ

---

(١) «شَرْحُ ثَلَاثَةِ أُصُولٍ - مَجْمُوعُ فَتَاوَىٰ وَرَسَائِلُ الْعُثَيْمِينَ» (٦/ ١٣٠) (٢٥/ ٣٩١).

(٢) «سِلْسِلَةُ الْهُدَىٰ وَالنُّورِ» شَرِيط رَقْم ٢٤٧، مِنْ تَسْجِيلَاتِ مَكْتَبَةِ طِيبَةَ الْإِسْلَامِيَّةِ بِعَجْمَانَ الْإِمَارَات.

فَتَاوِيهِ[١]: أَنَّ الْأَرْضَ لَيْسَتْ بِالْجُدْرَانِ، وَإِنَّمَا هِيَ بِالسُّكَّانِ، فَإِذَا كَانَ الْغَالِبُ عَلَىٰ سُكَّانِ الْبَلَدِ وَنِظَامِهِمُ الْإِسْلَامَ فَهِيَ دَارُ إِسْلَامٍ، وَإِنْ كَانُوا قَدْ يُحْكَمُونَ بِنِظَامٍ لَيْسَ إِسْلَامِيًّا صِرْفًا أَوْ مَحْضًا».

وَمَا دَامَتْ بِلَادُنَا إِسْلَامِيَّةً فَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَسْعَىٰ لِاسْتِقْرَارِهَا، وَاكْتِمَالِ أَمْنِهَا، وَيَجِبُ حِيَاطَتُهَا بِالرِّعَايَةِ، وَالْحِفَاظِ وَالْبَذْلِ.

قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ عُثَيْمِينٍ -كَمَا فِي شَرْحِهِ عَلَىٰ «رِيَاضِ الصَّالِحِينَ»[٢]-: «حُبُّ الْوَطَنِ: إِنْ كَانَ إِسْلَامِيًّا فَهَذَا تُحِبُّهُ؛ لِأَنَّهُ إِسْلَامِيٌّ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ وَطَنِكَ الَّذِي هُوَ مَسْقَطُ رَأْسِكَ، وَالوَطَنِ الْبَعِيدِ عَنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، كُلُّهَا أَوْطَانٌ إِسْلَامِيَّةٌ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَحْمِيَهَا».

الْوَطَنُ -إِنْ كَانَ إِسْلَامِيًّا- يَجِبُ أَنْ يُحَبَّ، وَعَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يُشَجِّعَ عَلَىٰ الْخَيْرِ فِي وَطَنِهِ، وَعَلَىٰ بَقَائِهِ إِسْلَامِيًّا، وَأَنْ يَسْعَىٰ لِاسْتِقْرَارِ أَوْضَاعِهِ وَأَهْلِهِ، وَهَذَا هُوَ الْوَاجِبُ عَلَىٰ كُلِّ الْمُسْلِمِينَ.

وَمِنْ لَوَازِمِ الْحُبِّ الشَّرْعِيِّ لِلْأَوْطَانِ الْمُسْلِمَةِ أَيْضًا: أَنْ يُحَافَظَ عَلَىٰ أَمْنِهَا وَاسْتِقْرَارِهَا، وَأَنْ تُجَنَّبَ الْأَسْبَابَ الْمُفْضِيَةَ إِلَىٰ الْفَوْضَىٰ وَالِاضْطِرَابِ وَالْفَسَادِ؛ فَالْأَمْنُ فِي الْأَوْطَانِ مِنْ أَعْظَمِ مِنَنِ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ.

---

(١) «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَىٰ» (١٨/ ٢٨٢) و(٢٧/ ١٤٣).

(٢) «شَرْحُ رِيَاضِ الصَّالِحِينَ» (١/ ٦٦).

فَعَلَىٰ الْمُسْلِمِ أَنْ يَعْرِفَ قَدْرَ بَلَدِهِ الْإِسْلَامِيِّ، وَأَنْ يُدَافِعَ عَنْهُ، وَأَنْ يَجْتَهِدَ فِي تَحْصِيلِ اسْتِقْرَارِهِ وَأَمْنِهِ، وبُعْدِهِ وَإِبْعَادِهِ عَنِ الْفَوْضَىٰ، وَعَنْ الِاضْطِرَابِ، وَعَنْ وُقُوعِ الْمُشَاغَبَاتِ.

عَلَىٰ الْمُسْلِمِ أَنْ يُحِبَّ بَلَدَهُ الْإِسْلَامِيَّ، وَأَنْ يُدَافِعَ عَنْهُ، وَأَنْ يَمُوتَ دُونَهُ؛ فَإِنَّ مَنْ مَاتَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَالْأَرْضُ مَالٌ، فَمَنْ مَاتَ دُونَ مَالِهِ فَهُو شَهِيدٌ.

وَمِصْرُ الَّتِي لَا يَعْرِفُ أَبْنَاؤُهَا قِيمَتَهَا؛ يَنْبَغِي أَنْ يُحَافَظَ عَلَيْهَا، وَأَنْ يُحَافَظَ عَلَىٰ وَحْدَتِهَا، وَأَنْ تُجَنَّبَ الْفَوْضَىٰ وَالْاضْطِرَابَ، وَأَنْ تُنَعَّمَ بِالْأَمْنِ وَالْأَمَانِ وَالِاسْتِقْرَارِ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُلَخَّصٌ مِنْ خُطْبَةِ: «مِصْرُ بَيْنَ مَطَامِعِ الْأَعْدَاءِ وَجُحُودِ الْأَبْنَاءِ» - خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ ١٦ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٦هـ/ ٣/ ٧/ ٢٠١٥م.

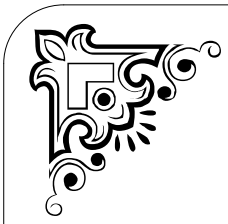

مِصْرُ الْغَالِيَةُ صَخْرَةُ الْإِسْلَامِ

هَذِهِ مِصْرُ، وَهِيَ أَرْضٌ إِسْلَامِيَّةٌ -وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ- فَلَنْ يُدَافَعَ عَنْهَا عَصَبِيَّةً؛ وَإِنَّمَا يُدَافَعُ عَنْهَا بِالْحَمِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَلِأَجْلِ دِينِ اللهِ جَلَّوَعَلَا، ولِيَظَلَّ الْأَذَانُ فِيهَا مَرْفُوعًا، وَلِتَظَلَّ الْجُمَعُ وَالْجَمَاعَاتُ وَالْأَعْيَادُ، وَلِتَظَلَّ شَعَائِرُ الْإِسْلَامِ فِيهَا قَائِمَةً رَغْمَ أَنْفِ الْخَوَارِجِ وَالتَّكْفِيرِيِّينَ -عَلَيْهِم مِن اللهِ جَلَّوَعَلَا مَا يَسْتَحِقُّونَهُ-.

إِنَّهَا مِصْرُ الَّتِي لَا يَعْرِفُ قَدْرَهَا أَبْنَاؤُهَا، وَيَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ الْخَيْرَ لَهَا؛ وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ بَيْعَهَا بَيْعًا رَخِيصًا فِي مَزَادَاتِ أَوْلَادِ الْخَنَا!!

إِنَّهَا مِصْرُ الَّتِي يُفَرِّطُ فِيهَا أَبْنَاؤُهَا مِمَّنْ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَتَمَسَّكُونَ بِالدِّينِ الْحَنِيفِ!!

أَلَا يَعْلَمُ النَّاسُ مَا يُبَيَّتُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ الْمَخَاطِرِ فِي الدَّاخِلِ وَالْخَارِجِ؛ مِنْ أَجْلِ طَمْسِ الْهُوِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي بَلَدٍ هُوَ دُرَّةُ التَّاجِ عَلَىٰ جَبِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ؟!!

إِنَّ أَعْدَاءَهَا يُرِيدُونَ الْفَوْضَىٰ فِيهَا، يُرِيدُونَ سَفْكَ الدِّمَاءِ، وَإِزْهَاقَ الْأَرْوَاحِ، واسْتِلَالَ الثَّرْوَاتِ، وَهَتْكَ الْأَعْرَاضِ.

وَهَذِهِ الْأُمَّةُ أُمَّةٌ عَنِ الْإِسْلَامِ مُدَافِعَةٌ، وَعَنِ الْإِيمَانِ مُنَافِحَةٌ.

وَهِيَ لِلْقُرْآنِ حَامِلَةٌ، وَلِلْعِلْمِ نَاشِرَةٌ.

هَذِهِ الْأُمَّةُ بِاللهِ عَالِمَةٌ.

هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مِنَ الْأَتْقِيَاءِ الْأَنْقِيَاءِ الْأَخْفِيَاءِ مَنْ يَضْرَعُونَ إِلَىٰ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ أَنْ يُنَجِّيَهَا، وَيُنَجِّيَ الْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ وَسُوءٍ.

هَذِهِ الْأُمَّةُ هِيَ الصَّخْرَةُ الشَّمَّاءُ الَّتِي لَمَّا اتَّحَدَ أَبْنَاؤُهَا مَعَ أَهْلِ الشَّامِ تَحْتَ قِيَادَةِ الْمُظَفَّرِ (قُطُز)، تَمَّ انْحِسَارُ مَوْجَاتِ التَّتَارِ الْهَمَجِ عَلَىٰ صَخْرَتِهِمُ الْقَائِمَةِ الْعَاتِيَةِ.

وَنَجَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ الْحَضَارَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ كُلَّهَا بِهَذَا الرَّدِّ وَبِذَلِكَ الصَّدِّ، وَبِهَذَا الْكِفَاحِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

خَرَجَتْ جُيُوشُ الْمِصْرِيِّينَ مُوَحِّدَةً مُؤْمِنَةً بِاللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، مُنَافِحَةً عَنْ دِينِهِ الْعَظِيمِ، صَرْخَتُهَا: «**وَا إِسْلَامَاهُ!**»؛ تُنَافِحُ عَنْهُ، وَتَمُوتُ دُونَهُ، وتُقَاتِلُ لِأَجْلِ رَفْعِ رَايَتِهِ.

هَذِهِ الْأُمَّةُ أُمَّةٌ مُجَاهِدَةٌ، تُجَاهِدُ عَنْ دِينِ اللهِ تَعَالَىٰ جَمِيعَ الْمُعْتَدِينَ.

وَفِي عَهْدِ (الدَّوْلَةِ الْأَيُّوبِيَّةِ) لَمَّا خَرَجَ (صَلَاحُ الدِّين)، وَمَعَهُ مَنْ مَعَهُ مِنْ جُنْدِ الْمُسْلِمِينَ؛ مِنْ جُنْدِ الشَّامِ الْمَيَامِينِ، مَعَ جُمْلَةِ مَنْ خَرَجَ مِنْ جُنْدِ الْمِصْرِيِّينَ، كَانَ تَطْهِيرُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ مَعَ إِجْلَاءِ الصَّلِيبِيِّينَ الَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَنْسِفُوا الْإِسْلَامَ نَسْفًا، وَأَنْ يَقْضُوا عَلَىٰ أَهْلِهِ قَضَاءً مُبْرَمًا، وَلَمْ يَبْلُغُوا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا.

هَذِهِ الْأُمَّةُ تَصَدَّتْ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ لِلْيَهُودِ، مِنْ إِخْوَانِ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، وَصَيْحَتُهُمْ: «اللهُ أَكْبَرُ».

يَا أَهْلَ مِصْرَ قَضَىٰ العَزِيزُ بِلُطْفِهِ ... وَأَرَادَ أَمْرًا بِالْبِلَادِ فَكَانَا

إِنَّ الَّذِي أَمْرُ الْمَمَالِكِ كُلِّهَا بِيَدَيْهِ ... أَحْدَثَ فِي «الْكِنَانَةِ» شَانَا

أَبْقَىٰ عَلَيْهَا أَمْنَهَا فِي بُرْهَةٍ(١) ... تَرْمِي الْعُرُوشَ وَتَنْثُرُ التِّيجَانَا(٢)

وَكَسَا الْبِلَادَ سَكِينَةً مِنْ أَهْلِهَا ... وَوَقَىٰ مِنَ الْفِتَنِ الْعِبَادَ وَصَانَا

أَوَ مَا تَرَوْنَ الْأَرْضَ خُرِّبَ نِصْفُهَا ... وَدِيَارُ مِصْرٍ لَا تَزَالُ جِنَانًا؟!

يَرْعَىٰ كَرَامَتَهَا وَيَمْنَعُ حَوْضَهَا ... جَيْشٌ يَعَافُ(٣) البَغْيَ وَالعُدْوَانَا!

كَجُنُودِ عَمْرٍو(٤) أَيْنَمَا رَكَزُوا القَنَا(٥) ... عَفُّوا يَدًا(٦)، وَمُهَنَّدا وَسِنَانًا(٧)

إِنَّ الشُّجَاعَ هُوَ الْجَبَانُ عَنِ الْأَذَىٰ ... وَأَرَىٰ الْجَرِيءَ عَلَىٰ الشُّرُورِ جَبَانَا

أَلَا يَدْرِي الحَمْقَىٰ الَّذِينَ يُرِيدُونَ سَوْقَ الخَرَابَ إِلَىٰ رُبُوعِ مِصْرَ مَنْ يَخْدُمُونَ؟!

---

(١) (البرهة): قطعة من الزمن طويلة.

(٢) (وتنثر التيجان): ترميها متفرقة.

(٣) (يعاف): يكره.

(٤) (كَجُنُودِ عَمْرٍو): هو عمرو بن العاص، فاتح مصر ووليها من قبل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

(٥) (رَكَزُوا القَنَا): غرزوها في الأرض، و (القنا): الرماح، جمع قناة.

(٦) (عفوا): تركوا الشهوات.

(٧) (المهند): السيف، و(السنان): نصل الرمح.

أَلَا يَعْلَمُونَ؟!!

إِنَّ مِنَ الْحِكَمِ اللَّائِحَةِ الَّتِي لَا تَكَادُ تَخْفَىٰ عَلَىٰ أَحَدٍ أَنْ جَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مُسْتَقْبَلَ الْمَنْطِقَةِ مُعَلَّقًا بِالْأُمَّةِ الْمِصْرِيَّةِ!

فَإِنْ تَهَاوَتْ تَهَاوَتِ الْمَنْطِقَةُ!

وَإِنْ صَمَدَتْ صَمَدَتِ الْمَنْطِقَةُ!

اتَّقُوا اللهَ فِي وَطَنِكُمْ -عِبَادَ اللهِ-!

وَاتَّقُوا اللهَ فِي أَوْطَانِكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ فِي مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا؛ فَإِنَّهَا مُسْتَهْدَفَةٌ مُرَادَةٌ مَطْلُوبَةٌ.

تَآزَرُوا وَتَعَاوَنُوا!

وَنَمُّوا الْمَوْجُودَ؛ حَتَّىٰ تَحْصُلُوا عَلَىٰ الْمَفْقُودِ!

وَلَا تَتَّبِعُوا السَّرَابَ؛ فَإِنَّهُ هَبَاءٌ يُفْضِي إِلَىٰ يَبَابٍ!

❀❀❀

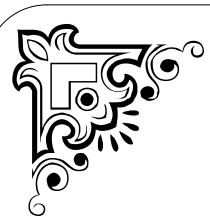

نِعْمَةُ الْأَمْنِ وَالِاسْتِقْرَارِ فِي الْوَطَنِ الْمُسْلِمِ

إِنَّ الْأَمْنَ وَالِاسْتِقْرَارَ نِعْمَةٌ عَظِيمٌ نَفْعُهَا، كَرِيمٌ مَآلُهَا.

وَبِاللهِ ثُمَّ بِالْأَمْنِ: يُحَجُّ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ، وَتُعَمَّرُ الْمَسَاجِدُ، وَيُرْفَعُ الْأَذَانُ مِنْ فَوْقِ الْمَنَارَاتِ، وَيَأْمَنُ النَّاسُ عَلَىٰ دِمَائِهِمْ، وَأَمْوَالِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ، وَتَأْمَنُ السُّبُلُ.

بِاللهِ ثُمَّ بِالْأَمْنِ: تُرَدُّ الْمَظَالِمُ لِأَهْلِهَا، فَيُنْتَصَرُ لِلْمَظْلُومِ وَيُرْدَعُ الظَّالِمُ، وَتُقَامُ الشَّعَائِرُ، وَيَرْتَفِعُ شَأْنُ التَّوْحِيدِ مِنْ فَوْقِ الْمَنَابِرِ، وَيَجْلِسُ الْعُلَمَاءُ لِلْإِفَادَةِ، وَيَرْحَلُ الطُّلَّابُ لِلِاسْتِفَادَةِ، وَتُحَرَّرُ الْمَسَائِلُ، وَتُعْرَفُ الدَّلَائِلُ، وَيُزَارُ الْمَرْضَىٰ، وَيُحْتَرَمُ الْمَوْتَىٰ، وَيُرْحَمُ الصَّغِيرُ وَيُدَلَّلُ، وَيُحْتَرَمُ الْكَبِيرُ وَيُبَجَّلُ، وَتُوصَلُ الْأَرْحَامُ، وَتُعْرَفُ الْأَحْكَامُ، وَيُؤْمَرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيُنْهَىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيُكَرَّمُ الْكَرِيمُ، وَيُعَاقَبُ اللَّئِيمُ.

وَعَلَىٰ كُلِّ حَالٍ فَبِالْأَمْنِ: اسْتِقَامَةُ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَبِالْأَمْنِ: صَلَاحُ الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ، وَالْحَالِ وَالْمَآلِ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الْجَيْشُ الْمِصْرِيُّ الْأَبِيُّ وَشَيْخُ الْحَدَّادِيَّةِ» - ١٥ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٩هـ/ ٦-١٠-٢٠١٧م.

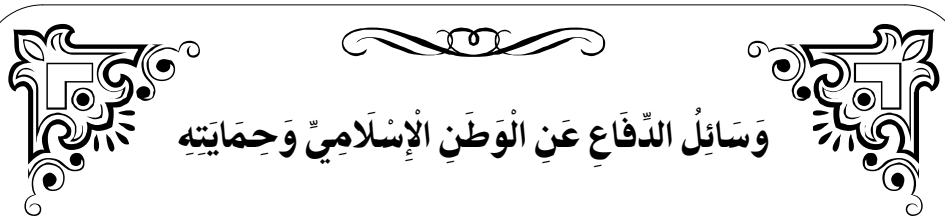

وَسَائِلُ الدِّفَاعِ عَنِ الْوَطَنِ الْإِسْلَامِيِّ وَحِمَايَتِهِ

*** مِنْ كُبْرَى وَسَائِلِ حِمَايَةِ الْوَطَنِ: لُزُومُ التَّقْوَى:**

فَقَالَ ﷺ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ**»(١).

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٦٠٧)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٦٧٦)، وَابْنُ مَاجَه (٤٢، و٤٣، و٤٤)، من حَدِيث: العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ؛ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

وفي رِوَايَةٍ: «**قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَىٰ الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ، حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ**».

والحَدِيث صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ في «الإِرْوَاءِ» (٢٤٥٥)، وفي «الصَّحِيحَةِ» (٩٣٧).

وَهِيَ وَصِيَّةُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [النساء: ١٣١].

فَتَقْوَىٰ اللهِ ﷻ هِيَ النَّجَاةُ، وَالنَّاسُ يَتَفَاضَلُونَ بِهَا عِنْدَ اللهِ، وَتَقْوَىٰ اللهِ ﷻ هِيَ الْعَمَلُ بِالْمَأْمُورَاتِ، وَاجْتِنَابُ الْمَنْهِيَّاتِ.

فَالتَّقْوَىٰ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ، مَنْ حَصَّلَهَا جَعَلَ لِنَفْسِهِ وِقَايَةً مِنَ النَّارِ.

وَقَوْلُ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٧٨]. أَيْ: اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَذَابِهِ وِقَايَةً وَجُنَّةً تَقِيكُمْ عَذَابَهُ وَسُوءَ عِقَابِهِ.

فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ**».

وَعَلَيْكُمْ: اسْمُ فِعْلٍ أَمْرٍ بِمَعْنَىٰ الْزَمُوا. أَيِ: الْزَمُوا تَقْوَىٰ اللهِ جَلَّوَعَلَا، وَخُذُوا بِتَقْوَاهُ، وَلَا تَنْحَرِفُوا عَنْ سَبِيلِ تُقَىٰ اللهِ ﷻ.

«**عَلَيْكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ**»: فَضَبَطَ الْعَلَاقَةَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا عَمِلَ بِأَوَامِرِ اللهِ عَلَىٰ نُورٍ مِنَ اللهِ، يَرْجُو رِضْوَانَ اللهِ، وَاجْتَنَبَ مَنْهِيَّاتِ اللهِ، عَلَىٰ نُورٍ مِنَ اللهِ، يَخَافُ عَذَابَ اللهِ، كَانَ مِنَ الْمُتَّقِينَ.

وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ يَكُونُ قَدْ أَدَّىٰ الَّذِي عَلَيْهِ، وَصَارَ عَبْدًا للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ.

فَضَبَطَ النَّبِيُّ ﷺ كُلَّ الْأُمُورِ الَّتِي فِيهَا عَلَاقَةٌ باللهِ جَلَّوَعَلَا، وَهَذَا كُلُّهُ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

*** السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِلْحُكَّامِ، وَعَدَمُ إِثَارَةِ الْفَوْضَى مِنْ أَهَمِّ وَسَائِلِ حِمَايَةِ الْوَطَنِ وَالدِّفَاعِ عَنْهُ:**

لَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ الْقَاعِدَةَ الَّتِي إِذَا مَا أَخَذَ بِهَا الْمُجْتَمَعُ الْمُسْلِمُ، عَاشَ فِي تَوَاؤُم وَسَلَام، وَبَعُدَ عَنْهُ شَبَحُ الْفَوْضَىٰ وَالِانْقِسَام.

وَمَتَىٰ مَا خُولِفَتِ الْقَاعِدَةُ، دَبَّتِ الْفَوْضَىٰ فِي أَرْجَاءِ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ، وَانْتُهِكَتِ الْأَعْرَاضُ، وَسُلِبَتِ الْأَمْوَالُ، وَأُزْهِقَتِ الْأَرْوَاحُ، وَقُطِّعَتِ الطُّرُقُ، فَلَا جُمُعَةَ وَلَا جَمَاعَةَ؛ مِنْ أَثَرِ هَذِهِ الْفَوْضَىٰ الَّتِي تَعُمُّ الدِّيَارَ!

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ، -عَلَيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ- وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**»(١).

فَأَمَرَ بِطَاعَةِ وُلَاةِ الْأُمُورِ مِمَّنْ وَلَّاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَلَوْ كَانَ مُتَغَلِّبًا، وَلَكِنْ طَاعَتُهُ فِي الْمَعْرُوفِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**»(٢).(*).

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٩٣، و٦٩٦، و٧١٤٢)، مِنْ حَدِيثِ: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**».

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٣٤٠، و٧١٤٥، و٧٢٥٧)، وَمُسْلِمٌ (١٨٤٠)، مِنْ حَدِيثِ: عَلِيٍّ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ جَيْشًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا، فَأَوْقَدَ نَارًا، وَقَالَ: ادْخُلُوهَا، فَأَرَادَ نَاسٌ أَنْ يَدْخُلُوهَا، وَقَالَ الْآخَرُونَ: إِنَّا قَدْ فَرَرْنَا مِنْهَا، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لِلَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا: «**لَوْ دَخَلْتُمُوهَا لَمْ تَزَالُوا فِيهَا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»، وَقَالَ لِلْآخَرِينَ قَوْلًا حَسَنًا، وَقَالَ: «**لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «وَاقِعُ الْأُمَّةِ الْمُرُّ» - الثُّلَاثَاءُ ١٩ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٣هـ/ ٧/ ٨/ ٢٠١٢م.

وَقَدْ نَبَّهَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَىٰ خُطُورَةِ مُخَالَفَةِ هَذَا الْأَصْلِ، وَذَكَرَ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَىٰ مُخَالَفَتِهِ، فَقَالَ فِي «إِعْلَامِ الْمُوَقِّعِينَ»(١): «شَرَعَ النَّبِيُّ ﷺ لِأُمَّتِهِ إِيجَابَ إِنْكَارِ الْمُنْكَرِ؛ لِيَحْصُلَ بِإِنْكَارِهِ مِنَ الْمَعْرُوفِ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَإِذَا كَانَ إِنْكَارُ الْمُنْكَرِ يَسْتَلْزِمُ مَا هُوَ أَنْكَرُ مِنْهُ وَأَبْغَضُ إِلَىٰ اللَّهِ وَرَسُولِهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَسُوغُ إِنْكَارُهُ -وَإِنْ كَانَ اللَّهُ يُبْغِضُهُ وَيَمْقُتُ أَهْلَهُ-، وَهَذَا كَالْإِنْكَارِ عَلَىٰ الْمُلُوكِ وَالْوُلَاةِ بِالْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ؛ فَإِنَّهُ أَسَاسُ كُلِّ فِتْنَةٍ وَشَرٍّ إِلَىٰ آخِرِ الدَّهْرِ.

وَمَنْ تَأَمَّلَ مَا جَرَىٰ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ فِي الْفِتَنِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ رَآهَا مِنْ إِضَاعَةِ هَذَا الْأَصْلِ، وَعَدَمِ الصَّبْرِ عَلَىٰ مُنْكَرٍ، فَطُلِبَ إِزَالَتُهُ، فَتَوَلَّدَ مِنْهُ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ.

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرَىٰ بِمَكَّةَ أَكْبَرَ الْمُنْكَرَاتِ وَلَا يَسْتَطِيعُ تَغْيِيرَهَا، بَلْ لَمَّا فَتَحَ اللَّهُ مَكَّةَ وَصَارَتْ دَارَ إِسْلَامٍ عَزَمَ عَلَىٰ تَغْيِيرِ الْبَيْتِ، وَرَدِّهِ عَلَىٰ قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ، وَمَنَعَهُ مِنْ ذَلِكَ -مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَيْهِ- خَشْيَةُ وُقُوعِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ؛ مِنْ عَدَمِ احْتِمَالِ قُرَيْشٍ لِذَلِكَ؛ لِقُرْبِ عَهْدِهِمْ بِالْإِسْلَامِ، وَكَوْنِهِمْ حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ.

وَلِهَذَا لَمْ يَأْذَنْ فِي الْإِنْكَارِ عَلَىٰ الْأُمَرَاءِ بِالْيَدِ؛ لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ وُقُوعِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ».

---

(١) «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (٣/ ١٢).

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «وَلَعَلَّهُ لَا يُعْرَفُ طَائِفَةٌ خَرَجَتْ عَلَىٰ ذِي سُلْطَانٍ؛ إِلَّا وَكَانَ فِي خُرُوجِهَا مِنَ الْفَسَادِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْفَسَادِ الَّذِي أَزَالَتْهُ». (*).

فَالنَّبِيُّ ﷺ رَاعَىٰ حُقُوقَ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ، وَعَلَّمَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ هَذَا الْمُجْتَمَعَ لَا يَصْلُحُ، وَالنَّاسُ فِيهِ فَوْضَىٰ لَا سَرَاةَ لَهُمْ. (*/٢).

*** مِنْ أَعْظَمِ سُبُلِ حِمَايَةِ الْوَطَنِ: التَّمَسُّكُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ:**

قَالَ ﷺ: «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ**»، وَقَدْ وَقَعَ الِاخْتِلَافُ، وَمَا زَالَ وَاقِعًا فِي الْأُمَّةِ إِلَىٰ الْيَوْم.

«**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي**»: السُّنَّةُ هِيَ الْعَاصِمُ مِنَ الِاخْتِلَافِ، هِيَ الَّتِي تَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ.

السُّنَّةُ كَمَا جَاءَ بِهَا الرَّسُولُ ﷺ، لَا كَمَا يَقُولُ بِهَا الْمُرْشِدُونَ وَالْأُمَرَاءُ، وَيَقُولُ بِهَا الدَّرَاوِيشُ!!

---

(١) «منهاج السنة النبوية» (٣/ ٣٩١).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةِ: «عَقِيدَةُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فِي حُقُوقِ الْحُكَّامِ» - الْجُمُعَةُ ٨ مِنْ شَعْبَانَ١٤٣٥هـ/ ٦/ ٦/ ٢٠١٤م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «مَظْلُومِيَّةُ الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ» -الْجُمُعَةُ ١٦ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٥هـ/ ١٧-١-٢٠١٤م.

وَإِنَّمَا السُّنَّةُ الَّتِي هِيَ السُّنَّةُ عَنْ عُلَمَائِنَا -رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمْ-.

«**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(١).

كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، لَيْسَ هُنَاكَ مَا يُقَالُ لَهُ بِدْعَةٌ حَسَنَةٌ.(*).

إِنَّ اللهَ جَعَلَ مَعِينَ الْحَيَاةِ فِي الْوَحْيِ، قَالَ اللهُ جَلَّوَعَلَا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

وَأَعْظَمُ الْحَيَاتَيْنِ حَيَاةُ الْقَلْبِ، وَأَحْيَا النَّاسِ أَتْبَعُهُمْ لِلْوَحْيِ، وَهُوَ آمَنُهُمْ مِنَ الضَّلَالِ، وَبِهَذَا يَدِقُّ فَهْمُكَ لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّىٰ يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ**»(٢).....

---

(١) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ من حَدِيث العرباض بن سارية رضي الله عنه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ مُحَاضَرَةِ: «وَاقِعُ الْأُمَّةِ الْمُرُّ» - الثُّلَاثَاءُ ١٩ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٣هـ/ ٧/٨/ ٢٠١٢م.

(٢) أَخْرَجَهُ البزار في «مسنده» (١٥/ رَقْم ٨٩٩٣)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٢٥٠، تَرْجَمَة ٨٠٤)، وابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٠٦، تَرْجَمَة ٩١٨)، وابن شاهين في «الترغيب في فضائل الأعمال» (رَقْم ٥٢٨)، وفي «شرح مذاهب أهل السنة» (رَقْم ٤٤)، والدارقطني في «السُّنَن» (رَقْم ٤٦٠٦، مؤسسة الرسالة)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٩٣، رَقْم ٣١٩) وصححه، واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (١/ رَقْم ٨٩)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (١٠/ رَقْم ٢٠٣٣٧)، والخطيب في «الْجَامِع لأخلاق الراوي» (١/ رَقْم ٨٨)، من طريق: صَالِح بْن مُوسَىٰ الطَّلْحِيّ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ رُفَيْعٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّىٰ يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ**».

=

رَوَاهُ مَالِكٌ وَالْحَاكِمُ، وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ.(*).

فَالْوَحْيُ هُوَ رُوحُ الْعَالَمِ وَنُورُهُ وَحَيَاتُهُ.

وَإِذَا خَلَا الْعَالَمُ مِنَ الرُّوحِ وَالنُّورِ وَالْحَيَاةِ؛ أَقَامَ اللهُ تَعَالَىٰ السَّاعَةَ؛ لِأَنَّ الْقُرآنَ يُرْفَعُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ مِنَ الصُّدُورِ وَمِنَ السُّطُورِ.

فَيُصْبِحُ النَّاسُ وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ آيَةٌ مِنْ كَلَامِ اللهِ جَلَّوَعَلَا، وَذَلِكَ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، وَحِينَئِذٍ -عِنْدَمَا يَخْلُو الْعَالَمُ مِنَ الْحَيَاةِ وَالنُّورِ وَمَادَّةِ هَذَا الوُجُودِ الحَقِّ- فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُقِيمُ السَّاعَةَ حِينَئِذٍ.

=

وأَخْرَجَهُ مالك في «الموطأ» في (كتاب القدر، الحَدِيث رَقْم ٣، تحقيق عبد الباقي)، بلاغا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ، لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ**».

وحَسَّنَهُ بشواهده الْأَلْبَانِيّ في «الصحيحة» (١٧٦١)، وفي «صحيح الْجَامِع» (٢٩٣٧، ٣٢٣٢)، والحَدِيث أصله في «صحيح مُسْلِم» (٢٤٠٨)، من حَدِيث: زَيْدِ بْنِ أَرْقَم رضي الله عنه، قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَىٰ وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ**»، فَحَثَّ عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «**وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**»،... الحَدِيث.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «كَيْفَ تَصْحَبُ النَّبِيَّ ﷺ» - خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ ٨ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٣٦هـ/ ٢٧-٢-٢٠١٥م.

إِذَنْ، الْوَحْيُ هُوَ نُورُ الْعَالَمِ وَحَيَاتُهُ وَهِدَايَتُهُ، وَعَلَىٰ قَدْرِ تَمَسُّكِ الْإِنْسَانِ بِهَذَا النُّورِ وَالْحَيَاةِ وَالْهُدَىٰ يَكُونُ تَحْقِيقُهُ لِلْقَصْدِ الَّذِي لِأَجْلِهِ خَلَقَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خَلَقَنَا لِغَايَةٍ، وَهَذِهِ الْغَايَةُ مُبَيَّنَةٌ فِي الْوَحْيِ الْمَعْصُومِ، وَإِذَا مَا عَاشَ النَّاسُ بِهَذَا الوَحْيِ؛ سَعِدُوا فِي الْحَيَاةِ، وَتَجَنَّبُوا سُبُلَ الشَّقَاءِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، وَلَا حَيَاةَ لِهَذَا الْعَالَمِ إِلَّا بِأَنْ يَتَمَسَّكَ بِالْوَحْيِ.(*).

*** وَمِنْ أَكْبَرِ وَسَائِلِ الدِّفَاعِ عَنِ الْوَطَنِ الْإِسْلَامِيِّ: إِصْلَاحُ الْعَقِيدَةِ وَتَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ:**

إِنَّ إِصْلَاحَ الْعَقِيدَةِ هُوَ أَوَّلُ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْقَدَ عَلَيْهِ الْخِنْصَرُ فِي أَخْذٍ بِأَسْبَابِ إِصْلَاحِ الْأُمَّةِ.

يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نُبَيِّنَ أُمُورَ التَّوْحِيدِ، وَأَنْ نَلْتَزِمَ بِالتَّوْحِيدِ فِي كُلِّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَلَّغَنَا عَنْ رَبِّنَا جَلَّ وَعَلَا أَنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ.

وَبَيَّنَ لَنَا نَبِيُّنَا ﷺ فَضْلَ التَّوْحِيدِ، وَعَظِيمَ أَثَرِهِ فِي النَّفْسِ، وَفِي الْمَآلِ عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ.(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةُ: «عِيشُوا الْوَحْيَ الْمَعْصُومَ» - الْخَمِيسُ ٢٣ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٨هـ/ ٢٢/ ١٢/ ٢٠١٦ م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «خُطْبَةِ عِيدِ الْأَضْحَىٰ لِعَامِ ١٤٢٧هـ: لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا!» - السَّبْت ١٠ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٢٧هـ/ ٣٠-١٢-٢٠٠٦م.

إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ بَعَثَ رَسُولَهُ ﷺ بِمَا بَعَثَ بِهِ إِخْوَانَهُ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ مِنْ قَبْلِهِ، بَعَثَهُمْ جَمِيعًا بِرِسَالَةِ التَّوْحِيدِ؛ لِتَكُونَ الْعِبَادَةُ للهِ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ.

وَكُلُّهُمْ -صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ- قَالُوا لِأَقْوَامِهِمْ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وَالرَّسُولُ ﷺ أَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

لَيْسَ مَقْصُودُ الرَّسُولِ ﷺ أَنْ يَقُولُوا هَذِهِ الْكَلِمَةَ بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ أَنْ يَقُولُوا هَذِهِ الْكَلِمَةَ مَعَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ بِمَعْنَاهَا، وَتَحْقِيقِهَا وَالْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا، وَالْبُعْدِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ يُنَافِيهَا.

عِبَادَ اللهِ! بَالتَّوحِيدِ يُقْبَلُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ!

وَمِنْ غَيْرِ التَّوْحِيدِ لَا يُقْبَلُ عَمَلٌ!

فَكَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تَصِحُّ بِغَيْرِ طَهَارَةٍ، فَكَذَلِكَ الْأَعْمَالُ لَا تَصِحُّ بِغَيْرِ تَوْحِيدٍ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ﴾[المائدة: ٣٦].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٦].

فَقَبُولُ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ الصَّالِحَةِ، مُتَوَقِّفٌ عَلَىٰ التَّوْحِيدِ.

التَّوْحِيدُ فِيهِ الْأَمْنُ وَالْأَمَانُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾: أَيْ بِشِرْكٍ ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

بِالتَّوْحِيدِ تَكُونُ الْعِزَّةُ، وَيَتَحَقَّقُ النَّصْرُ فِي الدُّنْيَا، وَتَكُونُ عِزَّةُ الْمَرْءِ فِي الْآخِرَةِ، كُلُّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِتَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١].

﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٣٩].

فَالْعِزَّةُ، وَالنَّصْرُ -دُنْيَا وَآخِرَةً- لَا يَتَحَقَّقَانِ إِلَّا بِتَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ لِلْعَزِيزِ المَجِيدِ.

إِنَّ التَّوْحِيدَ يُحَرِّرُ الْعَبْدَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ؛ لِيَكُونَ عَبْدًا للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ رَبِّ الْعِبَادِ.

فَالتَّوْحِيدُ الْمُحَقَّقُ الصَّافِي يُحَرِّرُ الْإِنْسَانَ مِنَ التَّعَلُّقِ بِغَيْرِ اللهِ؛ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، وَالْآلِهَةِ الْمُدَّعَاةِ الْبَاطِلَةِ.

وَيَجْعَلُ التَّوْحِيدُ الْإِنْسَانَ شَاعِرًا بِعِزَّةٍ وَكَرَامَةٍ عَلَىٰ مَا يَلِيقُ بِهِ فِي تَحْقِيقِ عُبُودِيَّتِهِ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَهُ، وَبَرَأَهُ، وَسَوَّاهُ.

يُحَرِّرُ عَقْلَهُ كَمَا حَرَّرَ قَلْبَهُ، يُحَرِّرُ عَقْلَهُ مِنَ الْخُرَافَاتِ، مِنَ التُّرَّهَاتِ، مِنَ الْخُزَعْبَلَاتِ، حَتَّىٰ لَا يَخَافَ إِلَّا اللهَ، وَلَا يَرْجُوَ إِلَّا اللهَ، وَلَا يَتَعَلَّقَ إِلَّا بِاللهِ، وَهَذِهِ مِنْ أَعْظَمِ ثَمَرَاتِ التَّوْحِيدِ وَأَفْضَالِهِ.

وَأَعْظَمُ ثَمَرَةٍ مِنْ ثَمَرَاتِ التَّوْحِيدِ: دُخُولُ الْجَنَّةِ، فَالْجَنَّةُ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا مُوَحِّدٌ، حَرَّمَهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ [الطَّلَاق: ١١].

وَأَمَّا الْمُشْرِكُ؛ فَهُوَ مُوَزَّعُ الْقَلْبِ، مُقَلْقَلُ الْبَالِ، لَا يَهْدَأُ لَهُ ضَمِيرٌ، وَلَا يَسْتَقِرُّ عَلَىٰ حَالٍ؛ لِأَنَّ الشِّرْكَ يُحَرِّمُ عَلَىٰ صَاحِبِهِ دُخُولَ الْجَنَّةِ، وَيُوجِبُ لَهُ النَّارَ وَالدُّخُولَ فِيهَا؛ ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النِّسَاء: ٤٨].

إِنَّ الشِّرْكَ يُطْفِئُ نُورَ الْفِطْرَةِ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التِّين: ٤-٦].

قَدْ بَيَّنَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بَعْضَ عَنَاصِرِ تَكْوِينِ الْإِنْسَانِ: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [ص: ٧١-٧٢].

وَالرُّوحُ لَا تَتَحَرَّرُ إِلَّا بِتَحْقِيقِ مَا خُلِقَتْ لَهُ، وَجُعِلَتْ لَهُ، وَأَمَّا مَنْ كَفَرَ وَأَشْرَكَ بِاللهِ غَيْرَهُ، فَهُوَ كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ [التين: ٥].

إِنَّ الشِّرْكَ مَهَانَةٌ لِلْإِنْسَانِيَّةِ، وَقَضَاءٌ عَلَىٰ عِزَّةِ النَّفْسِ، وَسَبَبٌ لِلذِّلَّةِ وَالْمَهَانَةِ دُنْيَا وَآخِرَةً، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ؛ فَلَا عِزَّةَ لَهُ.

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ خَلَقَ الْخَلْقَ لِعِبَادَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ، وَلَا تَتَحَقَّقُ فِيهِمُ الْإِنْسَانِيَّةُ الْحَقَّةُ إِلَّا إِذَا حَقَّقُوا الْغَرَضَ الَّذِي لِأَجْلِهِ خَلَقَهُمُ اللهُ جَلَّوَعَلَا، وَإِذَا لَمْ يُحَقِّقُوهُ تَمَزَّقَتْ نُفُوسُهُمْ.

الشِّرْكُ يُمَزِّقُ وَحْدَةَ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٣] .(*).

اعْلَمُوا -عِبَادَ اللهِ- أَنَّهُ لَا يُلَوِّثُ النَّفْسَ، وَلَا يُفْسِدُ الْفِكْرَ، وَلَا يُضَيِّعُ الْعَقْلَ، وَلَا يُضَيِّعُ الدُّنْيَا، وَلَا يَهْدِمُ الدِّينَ إِلَّا الشِّرْكُ، فَكُونُوا مِنْهُ عَلَىٰ حَذَرٍ.(*/٢).

وَالْمَصْلَحَةُ الْعُلْيَا لِلْأُمَّةِ إِنَّمَا تَتَحَقَّقُ بِمَا يَتَحَقَّقُ بِهِ نَفْيُ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَنَفْيُ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ بِتَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ» -الْجُمُعَةُ: ١٢ ذُو القعدة ١٤٣٣هـ/ ٢٨ سبتمبر ٢٠١٢ م.

(*/٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «خُطْبَةِ عِيدِ الْأَضْحَىٰ لِعَامِ ١٤٢٧هـ: لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا» - السَّبْت ١٠ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٢٧هـ/ ٣٠-١٢-٢٠٠٦م.

فَلَا يَتَحَقَّقُ الصَّلَاحُ فِي الْأَرْضِ، وَلَا يَنْتَفِي الْفَسَادُ مِنْهَا إِلَّا بِتَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ فِيهَا، الَّذِي لِأَجْلِهِ خَلَقَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْخَلْقَ.

فَأَوَّلُ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُرَاعَىٰ مِنَ الْمَصَالِحِ الْعُلْيَا هُوَ: تَحْقِيقُ دِينِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فَبِهِ تَتَحَقَّقُ الْمَصْلَحَةُ، وَبِهِ تَنْتَفِي الْمَفْسَدَةُ.(*).

*** مِنْ أَهَمِّ وَسَائِلِ الدِّفَاعِ عَنِ الْوَطَنِ الْإِسْلَامِيِّ: الدَّعْوَةُ إِلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَى بَصِيرَةٍ:**

إِنَّ الدَّعْوَةَ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَشْرَفُ وَأَكْرَمُ مَقَامَاتِ التَّعَبُّدِ للهِ.

هِيَ أَكْرَمُ مَقَامٍ يَقُومُهُ عَبْدٌ لِرَبِّهِ أَنْ يَكُونَ دَاعِيًا إِلَيْهِ، دَالًّا عَلَيْهِ، مُرْشِدًا إِلَىٰ صِرَاطِهِ، مُتَّبِعًا لِسَبِيلِ نَبِيِّهِ، مُقِيمًا عَلَىٰ ذَلِكَ، مُخْلِصًا فِيهِ، آتِيًا بِهِ عَلَىٰ النَّحْوِ الَّذِي يُرْضِيهِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

فَهَذَا اسْتِفْهَامٌ الْغَرَضُ مِنْهُ النَّفْيُ، **﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾**: أَيْ: لَا أَحَدَ.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾: مِمَّنْ دَعَا إِلَىٰ اللهِ، لَا إِلَىٰ نَفْسِهِ، وَلَا إِلَىٰ مَنْهَجِهِ، وَلَا إِلَىٰ طَرِيقَتِهِ، وَلَكِنْ إِلَىٰ اللهِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ «خُطْبَةِ عِيدِ الْفِطْرِ: ١٤٣٨هـ - فِرْيَانُ السُّدُودِ» - الْأَحَد ١ مِنْ شَوَّال ١٤٣٨هـ/ ٢٥-٦-٢٠١٧م.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾: فَالْتَزَمَ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ، وَعَمِلَ بِهِ.

﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: فَأَسْلَمَ الزِّمَامَ للهِ وَحْدَهُ بِالشَّرْعِ الْأَغَرِّ، بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، لَا يَبْتَدِعُ، وَلَا يَتَزَيَّدُ، وَلَا يَجِدُ حَظَّ نَفْسِهِ، بَلْ يَجْعَلُ ذَلِكَ تَحْتَ مَوَاطِئِ أَقْدَامِهِ، يَدْعُو إِلَىٰ اللهِ مُخْلِصًا، إِلَىٰ اللهِ خَالِصًا، للهِ وَحْدَهُ.

فَلَا أَحَدَ هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ قَوْلًا، وَلَا أَكْرَمُ عَلَىٰ اللهِ مِنْهُ فِعْلًا، وَلَا أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ مِنْهُ دَعْوَةً.

وَكُلُّ مُكَلَّفٍ وَجَبَ عَلَيْهِ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

فَمَنِ اتَّبَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَا إِلَىٰ اللهِ.

وَأَتْبَاعُ النَّبِيِّ ﷺ دُعَاةٌ إِلَىٰ اللهِ، كُلٌّ بِحَسَبِهِ، عَلَىٰ حَسَبِ عِلْمِهِ، لَا يَتَزَيَّدُ، وَإِلَّا كَانَ دَاعِيًا إِلَىٰ غَيْرِ رَبِّهِ، وَإِلَىٰ غَيْرِ صِرَاطِهِ، وَإِلَىٰ غَيْرِ دِينِهِ، قَائِلًا عَلَىٰ اللهِ بِلَا عِلْمٍ، وَإِنَّمَا يَدْعُو إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَىٰ قَدْرِ عِلْمِهِ، وَعَلَىٰ قَدْرِ طَاقَتِهِ، فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَفِي كُلِّ مَجَالٍ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

أَنْتُمْ -يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ- خَيْرُ أُمَّةٍ أُظْهِرَتْ لِلنَّاسِ، وَحُمِّلَتْ وَظِيفَةَ الْخُرُوجِ بِتَبْلِيغِ النَّاسِ دِينَ اللهِ لَهُمْ.

وَهَذِهِ الْخَيْرِيَّةُ قَدْ عَلِمَهَا اللهُ فِيكُمْ قَبْلَ أَنْ يُخْرِجَكُمْ؛ لِأَنَّ عِلْمَهُ يَشْمَلُ مَا كَانَ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ، وَمَا سَيَكُونُ.

وَسَبَبُ بَقَاءِ تِلْكَ الْخَيْرِيَّةِ فِيكُمْ إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ:

أَنَّكُمْ سَتَظَلُّونَ تَأْمُرُونَ دَاخِلَ مُجْتَمَعِكُمُ الْمُسْلِمِ بِمَا عُرِفَ فِي الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ حُسْنُهُ.

وَتَنْهَوْنَ عَنْ كُلِّ مَا عُرِفَ فِي الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ قُبْحُهُ.

فَتَحْمُونَ مُجْتَمَعَكُمْ بِهَذَا -أَيْ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الِانْحِرَافِ الْخَطِيرِ، وَالِانْهِيَارِ إِلَىٰ الْحَضِيضِ الَّذِي بَلَغَتْهُ الْأُمَمُ قَبْلَكُمْ.

وَأَنَّكُمْ سَتَظَلُّونَ تُصَدِّقُونَ بِاللهِ، وَتُخْلِصُونَ لَهُ التَّوْحِيدَ وَالْعِبَادَةَ مَهْمَا اشْتَدَّتْ عَلَيْكُمُ النَّكَبَاتُ مِنَ الْأُمَمِ الْأُخْرَىٰ؛ بُغْيَةَ إِخْرَاجِكُمْ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَىٰ الْكُفْرِ.(*).

*** مِنْ أَهَمِّ وَسَائِلِ حِمَايَةِ الْوَطَنِ الْإِسْلَامِيِّ: الْعَمَلُ بِأَمَانَةٍ وَاجْتِهَادٍ:**

إِنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَمَرَ بِأَدَاءِ الْأَمَانَاتِ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَاتِ يَدْخُلُ فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ فِي الْحَيَاةِ، فَالْعِبَادَاتُ أَمَانَةٌ، وَالْخِيَانَةُ فِيهَا أَنْ تُنْتَقَصَ، فَإِذَا انْتَقَصَ الْإِنْسَانُ مِنَ الْعِبَادَةِ فَهُوَ خَائِنٌ.

وَالْمُعَامَلَاتُ أَمَانَةٌ، وَمَا يُسْتَأْمَنُ عَلَيْهِ الْمَرْءُ أَمَانَةٌ، وَالسِّرُّ أَمَانَةٌ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»- [آل عمران: ١١٠].

كُلُّ أَمْرٍ تَعَلَّقَ بِهِ أَمْرٌ وَنَهْيٌ فِي دِينِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَهُوَ أَمَانَةٌ، وَالْخِيَانَةُ فِيهِ أَلَّا يُؤْتَىٰ بِهِ عَلَىٰ الْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ الْمَطْلُوبِ.

فَإِذَا كَانَ إِنْسَانٌ فِي عَمَلٍ، فَالْعَمَلُ الَّذِي اسْتُؤْمِنَ عَلَيْهِ أَمَانَةٌ، فَإِذَا خَانَ فِيهِ فَهُوَ خَائِنٌ، وَجَزَاءُ الْخَائِنِ مَعْلُومٌ.(*).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة: ١٠]. يَعْنِي: فَإِذَا فُرِغَ مِنْ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، فَتَفَرَّقُوا فِي الْأَرْضِ؛ لِلتِّجَارَةِ وَالتَّصَرُّفِ فِي حَوَائِجِكُمْ وَمَطَالِبِ حَيَاتِكُمْ، وَمَصَالِحِ دُنْيَاكُمْ.

وَاطْلُبُوا رِزْقَ اللهِ بِأَنَاةٍ وَرِفْقٍ، مَعَ صَبْرٍ وَكَدْحٍ، وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكُم؛ رَغْبَةً فِي الْفَوْزِ بِخَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.(*/٢).

*** مِنْ أَهَمِّ وَسَائِلِ حِمَايَةِ الْوَطَنِ الْإِسْلَامِيِّ: الِاجْتِمَاعُ وَالْأُخُوَّةُ الصَّادِقَةُ:**

إِنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ بَيَّنَ لَنَا طَرِيقًا وَاحِدًا يَجِبُ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَسْلُكُوهُ، وَهُوَ صِرَاطُ اللهِ الْمُسْتَقِيمُ، وَمَنْهَجُ دِينِهِ الْقَوِيمِ.

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «هَدَايَا الْمُوَظَّفِينَ» - الْجُمُعَةُ ٥ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣١هـ/ ١٩-٢-٢٠١٠م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»- [الجمعة: ١٠].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦ - ٧].

وَالَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَيْهِمْ بَيَّنَهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

فَالَّذِينَ جَعَلُوا مَنْهَجَهُمْ كِتَابَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ، وَعَمِلُوا بِقَوْلِهِ ﷺ هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ.

فَدِينُنَا دِينُ الْأُلْفَةِ وَالِاجْتِمَاعِ.

وَالتَّفَرُّقُ لَيْسَ مِنَ الدِّينِ، فَتَعَدُّدُ الْجَمَاعَاتِ لَيْسَ مِنَ الدِّينِ؛ لِأَنَّ الدِّينَ يَأْمُرُنَا أَنْ نَكُونَ جَمَاعَةً وَاحِدَةً، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**»(١).

وَيَقُولُ ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ**»(٢).

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ (٤٨١، و ٢٤٤٦، و ٦٠٢٦)، ومُسْلِم (٢٥٨٥)، من حَدِيث: أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٠١١)، ومُسْلِمٌ (٢٥٨٦)، من حَدِيث: النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْبُنْيَانَ، وَأَنَّ الْجَسَدَ شَيْءٌ وَاحِدٌ مُتَمَاسِكٌ، لَيْسَ فِيهِ تَفَرُّقٌ؛ لِأَنَّ الْبُنْيَانَ إِذَا تَفَرَّقَ سَقَطَ، كَذَلِكَ الْجِسْمُ إِذَا تَفَرَّقَ فَقَدَ الْحَيَاةَ.

فَلَا بُدَّ مِنَ الِاجْتِمَاعِ، وَأَنْ نَكُونَ أُمَّةً وَاحِدَةً، أَسَاسُهَا التَّوْحِيدُ، وَمَنْهَجُهَا دَعْوَةُ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَسَارُهَا عَلَىٰ دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ.(*).

إِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا جَعَلَ مُحَمَّدًا ﷺ دَاعِيَةَ ائْتِلَافٍ، فَلَا تَخْتَلِفُوا، وَجَعَلَ مُحَمَّدًا ﷺ دَاعِيَةَ مَحَبَّةٍ، فَلَا تَبَاغَضُوا.(*/٢).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةِ: «أَيُّهَا الْمِصْرِيُّونَ! لَا عُذْرَ لَكُمْ» -الْجُمُعَةُ ٢٩ مِنْصَفَر ١٤٣٧هـ- ١١/ ١٢/ ٢٠١٥م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةِ: «الْأُخُوَّةُ الصَّادِقَةُ».

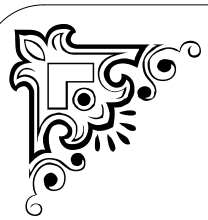

حِمَايَةُ الْوَطَنِ مِنَ الْإِرْهَابِ

فَقَدْ أَصْدَرَ الْمَجْمَعُ الْفِقْهِيُّ فِي إِحْدَىٰ دَوْرَاتِهِ: إِنَّ التَّطَرُّفَ وَالْعُنْفَ وَالْإِرْهَابَ لَيْسَ مِنَ الْإِسْلَامِ فِي شَيْءٍ، بَلْ هِيَ أَعْمَالٌ خَطِيرَةٌ، لَهَا آثَارٌ فَاحِشَةٌ، وَفِيهَا اعْتِدَاءٌ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ وَظُلْمٌ لَهُ.

وَمَنْ تَأَمَّلَ مَصْدَرَيِ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ -كِتَابَ اللهِ الْكَرِيمِ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ الْعَظِيمِ ﷺ- فَلَنْ يَجِدَ فِيهِمَا شَيْئًا مِنْ مَعَانِي التَّطَرُّفِ وَالْعُنْفِ وَالْإِرْهَابِ الَّذِي يَعْنِي الِاعْتِدَاءَ عَلَىٰ الْآخَرِينَ دُونَ وَجْهِ حَقٍّ.

وَحِرْصًا مِنْ أَعْضَاءِ الْمَجْمَعِ عَلَىٰ وَضْعِ تَعْرِيفٍ إِسْلَامِيٍّ لِلْإِرْهَابِ تَتَوَحَّدُ عَلَيْهِ رُؤَىٰ الْمُسْلِمِينَ وَمَوَاقِفُهُمْ، وَلِبَيَانِ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ، وَإِبْرَازِ خُطُورَةِ الرَّبْطِ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالتَّطَرُّفِ وَالْإِرْهَابِ، يُقَدِّمُ الْمَجْمَعُ الْفِقْهِيُّ لِلْمُسْلِمِينَ وَلِلْعَالَمِ أَجْمَعَ تَعْرِيفًا لِلْإِرْهَابِ، وَمَوْقِفَ الْإِسْلَامِ مِنْهُ[1]:

«**الْإِرْهَابُ هُوَ:** الْعُدْوَانُ الَّذِي يُمَارِسُهُ أَفْرَادٌ أَوْ جَمَاعَاتٌ أَوْ دُوَلٌ؛ بَغْيًا عَلَىٰ الْإِنْسَانِ: دِينِهِ وَدَمِهِ وَعَقْلِهِ وَمَالِهِ وَعِرْضِهِ.

---

(١) «المجمع الفقهي» التابع لرابطة العالم الإسلامي في دورته السابعة عشْرَةَ المُنْعَقِدَةِ بتاريخ ١٩ - ٢٣/ ١٠/ ١٤٢٤ هـ بمكةَ المُكرمةِ، (ص ١٢).

وَيَشْمَلُ صُنُوفَ التَّخْوِيفِ وَالْأَذَىٰ وَالتَّهْدِيدِ وَالْقَتْلِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَمَا يَتَّصِلُ بِصُوَرِ الْحِرَابَةِ، وَإِخَافَةِ السَّبِيلِ وَقَطْعِ الطَّرِيقِ.

وَكُلُّ فِعْلٍ مِنْ أَفْعَالِ الْعُنْفِ أَوِ التَّهْدِيدِ يَقَعُ تَنْفِيذًا لِمَشْرُوعٍ إِجْرَامِيٍّ فَرْدِيٍّ أَوْ جَمَاعِيٍّ، وَيَهْدُفُ إِلَىٰ إِلْقَاءِ الرُّعْبِ بَيْنَ النَّاسِ أَوْ تَرْوِيعِهِمْ بِإِيذَائِهِمْ أَوْ تَعْرِيضِ حَيَاتِهِمْ أَوْ حُرِّيَّتِهِمْ أَوْ أَمْنِهِمْ أَوْ أَحْوَالِهِمْ لِلْخَطَرِ.

وَمِنْ صُنُوفِهِ إِلْحَاقُ الضَّرَرِ بِالْبِيئَةِ أَوْ بِأَحَدِ الْمَرَافِقِ أَوِ الْأَمْلَاكِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، أَوْ تَعْرِيضِ أَحَدِ الْمَوَارِدِ الْوَطَنِيَّةِ أَوِ الطَّبِيعِيَّةِ لِلْخَطَرِ.

فَكُلُّ هَذَا مِنْ صُوَرِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ الَّتِي نَهَىٰ اللهُ الْمُسْلِمِينَ عَنْهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧]».

«**فَالْإِرْهَابُ فِي اللُّغَةِ**: مَصْدَرُ (أَرْهَبَ)؛ أَيْ: أَخَافَ، وَمَصْدَرُ مُفْرَدَاتِهَا: كَـ(أَفْزَعَ، وَرَوَّعَ، وَنَحْوِ ذَلِكَ)(١).

قَالَ الرَّاغِبُ(٢): «الرَّهْبَةُ وَالرُّهْبُ: مَخَافَةٌ مَعَ تَحَرُّزٍ وَاضْطِرَابٍ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾، وَقُرِئَ: ﴿**مِنَ الرَّهَبِ**﴾؛ أَيِ: الْفَزَعِ».

---

(١) «تاج العروس» (٢/ ٥٤١)، مادة: (رهب).

(٢) «المفردات في غريب القرآن» (ص٣٦٦).

وَفِي **الِاصْطِلَاحِ** تَعَدَّدَتِ التَّعْرِيفَاتُ حَوْلَهُ، وَلَكِنَّ التَّعْرِيفَ الْأَقْرَبَ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ: (الْإِرْهَابُ): جَمِيعُ الْمُمَارَسَاتِ الْعُدْوَانِيَّةِ بِشَتَّىٰ صُوَرِهَا الَّتِي حَرَّمَهَا الْإِسْلَامُ وَحَذَّرَ مِنْهَا وَمَنَعَهَا، فَهَذَا كُلُّهُ إِرْهَابٌ.

فَمُسَمَّىٰ الْإِرْهَابِ يُطْلَقُ عَلَىٰ جَمِيعِ الْأَعْمَالِ الْعُدْوَانِيَّةِ الَّتِي تُحْدِثُ الْخَوْفَ فِي الْقُلُوبِ، وَالرَّهْبَةَ فِي النُّفُوسِ، وَالِاضْطِرَابَ فِي الْأَمْنِ، وَالْفَسَادَ فِي الْبِلَادِ.

وَلَكِنَّ الَّذِي لَا يَصِحُّ قَوْلُهُ أَنْ يُتَّخَذَ ذَرِيعَةً ضِدَّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَىٰ الْخَيْرِ.

فَالْإِرْهَابُ صِنَاعَةٌ غَرْبِيَّةٌ غَرِيبَةٌ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ أَتَتْ مِنْ خَارِجِ بُلْدَانِهِمْ، وَهِيَ مِنْ صُنْعِ أَعْدَاءِ اللهِ الْمَاكِرِينَ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ دَافِعًا لَهُمْ لِلْوُقُوفِ أَمَامَ الْمَدِّ الْإِسْلَامِيِّ الْجَارِفِ عَلَىٰ مُسْتَوَىٰ الْعَالَمِ كُلِّهِ.

وَكَلِمَةُ الْإِرْهَابِ: هِيَ قَتْلُ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَخْوِيفُ الْآمِنِينَ، وَهَتْكُ حُرْمَةِ الْمُعَاهَدِينَ، وَاسْتِهْدَافُ الْأَبْرِيَاءِ، وَتَدْمِيرُ الْمُنْشَآتِ، وَتَشْوِيهُ سُمْعَةِ الدِّينِ الْعَظِيمِ.

فَكُلُّ أَعْمَالِ الْعُنْفِ الَّتِي تُرْتَكَبُ بِاسْمِ الْإِسْلَامِ تَجُرُّ الْمُسْلِمِينَ إِلَىٰ مَتَاهَاتٍ مُعْتِمَةٍ، وَمَشَاكِلَ جَمَّةٍ، وَتَسْتَعْدِي عَلَيْهِمُ الْعَالَمَ بِأَسْرِهِ، وَتَجْلِبُ لَهُمُ الْمَشَقَّةَ وَالْعَنَتَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ وَاضِحٌ لِلْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ.

وَمِنْ آثَارِ الْإِرْهَابِ الَّتِي يَرَاهَا الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ:

هَلَاكُ الْأَنْفُسِ وَإِهْلَاكُهَا.

تَدْمِيرُ الْمُمْتَلَكَاتِ.

تَحْطِيمُ الْمُنْشَآتِ.

نَشْرُ الْخَوْفِ وَالرُّعْبِ.

زَرْعُ الضَّغِينَةِ وَالْبَغْضَاءِ.

تَحْجِيرُ الْخَيْرِ.

إِضْعَافُ الْأُمَّةِ وَتَبْدِيدُ مَكَاسِبِهَا.

تَسَلُّطُ أَعْدَاءِ اللهِ وَتَمَكُّنِهِمْ مِنْ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ.

فَمَنْ ذَا الَّذِي يَرْضَىٰ لِنَفْسِهِ وَيَرْضَىٰ لِغَيْرِهِ تِلْكَ الْأُمُورَ؟!

اللهُ تَعَالَىٰ رَفَعَ عَنْ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ الْعَنَتَ وَالْحَرَجَ.

وَنُصْرَةُ دِينِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَإِعْزَازُ شَرِيعَتِهِ لَا يَكُونُ بِبَثِّ الْخَوْفِ وَالرُّعْبِ، أَوِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، أَوْ بِإِلْقَاءِ الْأَنْفُسِ إِلَىٰ التَّهْلُكَةِ أَوِ التَّضْحِيَةِ بِالنَّفْسِ عَلَىٰ غَيْرِ بَصِيرَةٍ.

كُلُّ هَذَا مُخَالِفٌ لِمَا جَاءَ بِهِ دِينُ الْإِسْلَامِ، وَإِنَّمَا جَاءَ الْإِسْلَامُ؛ لِيَحْمِيَ لِلنَّاسِ ضَرُورَاتِهِمْ، وَيَعْمَلَ عَلَىٰ حِفْظِهَا، وَيَنْشُرَ الْأَمْنَ وَالْعَدْلَ وَالسَّعَادَةَ بَيْنَ أَرْجَاءِ الْأَرْضِ كُلِّهَا.(*).

لَقَدْ عَالَجَ الْإِسْلَامُ الْإِرْهَابَ بِعِلَاجٍ حَاسِمٍ، وَآخِرُ الطِّبِّ الْكَيُّ، فَشَرَعَ حَدَّ الْحِرَابَةِ، وَهُوَ حَدٌّ شَرَعَهُ اللهُ تَعَالَىٰ لِلْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ، وَلِلْقَضَاءِ عَلَىٰ جَرِيمَةِ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «جِهَادٌ أَمْ إِرْهَابٌ؟» - ٧ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٤ هـ/ ١٣ سبتمبر ٢٠١٣م.

الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، الَّتِي تُرَوِّعُ الْأَبْرِيَاءَ وَتَقْتُلُهُمْ، وَتُخِيفُ سُبُلَهُمْ، وَتُضْعِفُ أَمْنَهُمْ، وَتُفَجِّرُ دُورَهُمْ وَمُنْشَآتِهِمْ، وَتُبَدِّدُ ثَرْوَاتِهِمْ، وَتُضَيِّعُ أَوْطَانَ الْمُسْلِمِينَ، فَشَرَعَ لِذَلِكَ كُلِّهِ حَدًّا، وَآخِرُ الطِّبِّ الْكَيُّ.(*).

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة: ٣٣- ٣٤].

المُحَارِبُونَ للهِ وَرَسُولِهِ هُمُ الذينَ بَارَزُوهُ بِالعَدَاوَةِ، وَأَفْسَدُوا في الأَرْضِ؛ بِالكُفرِ، والقَتْلِ، وَأَخْذِ الأَمْوَالِ، وَإِخَافَةِ السُّبُلِ.

وَالمَشْهُورُ أَنَّ هذه الآيَةَ الكَرِيمَةَ في أَحْكَامِ قُطَّاعِ الطَّرِيقِ الذينَ يَعْرِضُونَ للنَّاسِ في القُرَىٰ والبَوَادِي، فَيَغْصِبُونَهُم أَمْوَالَهُم، وَيَقْتُلُونَهُم، وَيُخِيفُونَهُم فَيَمْتَنِعُ النَّاسُ مِنْ سُلُوكِ الطريقِ التي هُمْ بِهَا، فَتَنْقَطِعُ بِذَلِكَ.

فَأَخْبَرَ اللهُ أَنَّ جَزَاءَهُم وَنَكَالَهُم عِنْدَ إِقَامَةِ الحَدِّ عَلَيْهِم أَنْ يُفْعَلَ بهم وَاحِدٌ مِنْ هذه الأُمُورِ.(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «جِهَادٌ أَمْ إِرْهَابٌ؟» - ٧ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٤ هـ/ ١٣ سبتمبر ٢٠١٣م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الْإِدْمَانُ وَالْإِفْسَادُ فِي الْأَرْضِ» - الْجُمُعَةُ ٤ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٦هـ/ ٢٢/ ٥/ ٢٠١٥م.

وَهَذِهِ الْعُقُوبَاتُ الَّتِي ذَكَرَهَا تَعَالَىٰ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ هِيَ عَلَىٰ هَذَا التَّرْتِيبِ:

مَنْ قَتَلَ وَأَخَذَ الْمَالَ: قُتِلَ وَصُلِبَ.

وَمَنْ أَخَذَ الْمَالَ وَلَمْ يَقْتُلْ: قُطِعَتْ يَدُهُ وَرِجْلُهُ مِنْ خِلَافٍ.

وَمَنْ لَمْ يَقْتُلْ وَلَمْ يَأْخُذْ مَالًا: نُفِيَ فِي الْأَرْضِ.

وَهَذَا مَذْهَبُ الْجُمْهُورِ، وَعَلَيْهِ الْعَمَلُ، وَهَذَا هُوَ الْحَسْمُ الْقَاطِعُ، وَهَذَا هُوَ الْعِلَاجُ النَّاجِعُ، وَآخِرُ الطِّبِّ الْكَيُّ، وَهَذَا مِنْ مَحَاسِنِ دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «جِهَادٌ أَمْ إِرْهَابٌ؟» - ٧ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٤ هـ/ ١٣ سبتمبر ٢٠١٣م.

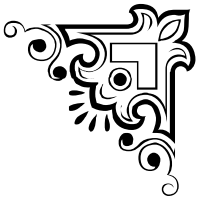

مَعْرَكَةٌ تَارِيخِيَّةٌ لِلْجَيْشِ الْمِصْرِيِّ فِي سَيْنَاءَ ضِدَّ الْإِرْهَابِ وَالْخِيَانَةِ

أَيُّهَا الْمِصْرِيُّونَ! اعْلَمُوا أَنَّ الْجَيْشَ الْمِصْرِيَّ يُحَارِبُ الْعَالَمَ كُلَّهُ فِي سَيْنَاءَ، تَجَمَّعَ عَلَيْهِ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا، وَلَنْ يَضُرُّوهُ شَيئًا -إِنْ شَاءَ اللهُ جَلَّوَعَلَا-، وَلَكِنْ تَجَمَّعَ عَلَيهِ مَنْ بِأَقْطَارِهَا فِي سَيناءَ.

العَالَمُ كُلُّهُ يُحَارِبُ الجَيْشَ المِصْرِيَّ فِي سَيناءَ!!

وَالمُقَاتِلُ الْمِصْرِيُّ، عَقِيدَتُهُ: «**النَّصْرُ أَوِ الشَّهَادَةُ**»، لَا يَعْرِفُ سِوَىٰ هَذَا.

يُقَتَّلُونَ، فِي سَبِيلِ اللهِ يَمْضُونَ، تُزْهَقُ أَرْوَاحُهُمْ، تُكْلَمُ قُلُوبُ أُمَّهَاتِهِمْ، يَتَيَتَّمُ أَطْفَالُهُمْ، تَتَرَمَّلُ نِسَاؤُهُمْ، يَبْكِيهِمْ كُلُّ جَارٍ وَحَبِيبٍ، وَهُمْ يَتَسَاقَطُونَ لَا يُبَالُونَ، عَقِيدَتُهُم: النَّصْرُ أَوِ الشَّهَادَةُ!!

لِمَاذَا يُقْتَلُونَ؟!

إِنَّهُمْ يُقْتَلُونَ مِنْ أَجْلِ الْحَقِّ، مِنْ أَجْلِ وَأْدِ المُؤَامَرَةِ.

الجَيْشُ المِصْرِيُّ يُعَانِي مُعَانَاةً شَدِيدَةً فِي سَيْنَاءَ؛ لِأَنَّ الْوَضْعَ هُنَالِكَ فِي غَايَةِ التَّعْقِيدِ، لَيْسَ كَمَا يَبْدُو لِلنَّظْرَةِ الأُولَىٰ، وَالنَّظْرَةُ الْأُولَىٰ حَمْقَاءُ!

الْوَضْعُ مُعَقَّدٌ غَايَةَ التَّعْقِيدِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَالْبَوَاسِلُ مِنَ الرِّجَالِ يُوَاجِهُونَ بِصُدُورٍ مَكْشُوفَةٍ، وَسَوَاعِدَ مَفْتُولَةٍ، وَعَقَائِدَ قَائِمَةٍ، لَا يُبَالُونَ، يَمُوتُونَ، يَتَسَاقَطُونَ...

لَا بَأْسَ..

إِنَّ المَجْدَ لَا يُصْنَعُ إِلَّا بِالتَّضْحِيَّاتِ الْغَالِيَةِ..

بِالدِّمَاءِ النَّازِفَةِ..

بِالأَرْوَاحِ الزَّاهِقَةِ.

إِنَّ الْقِيَمَ وَالمُثُلَ لَا يُؤَسَّسُ لَهَا وَلَا تُعْلَىٰ إِلَّا بِالتَّضْحِيَّاتِ الْعَظِيمَةِ.

إِنَّ المَجْدَ العَظِيمَ لَا يَصْنَعُهُ إِلَّا الْتَضْحِيَّةُ العَظِيمَةُ، وَلَا يُصْنَعُ إِلَّا بِتَضْحِيَّةٍ عَظِيمَةٍ...

لِمَاذَا يُرِيدُ الخَوَنَةُ تَفْكِيكَ الجَيْشِ المِصْرِيِّ؟!

إِنَّ عَقِيدَةَ التَّكْفِيرِيِّينَ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ الجَيْشَ وَالشُّرْطَةَ فِي سَيْنَاءَ وَغَيْرِهَا: أَنَّ المُسْلِمِينَ مُرْتَدُّونَ، وَهُمْ أَكْفَرُ مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ!!

وَمِنْ عَقِيدَتِهِمْ: أَنَّهُ إِذَا قَاتَلَ الْيَهُودُ الجَيْشَ الْمِصْرِيَّ، فَهَؤُلَاءِ التَّكْفِيرِيُّونَ مَعَ اليَهُودِ ضِدَّ الجَيْشِ المِصْرِيِّ؛ لِأَنَّ اليَهُودَ عِنْدَهُم -وَكَذَلِكَ النَّصَارَىٰ- أَهْلُ كِتَابٍ، وَأَمَّا الجَيْشُ عِنْدَهُمْ فَكَافِرٌ مُرْتَدٌّ، وَالمُرْتَدُّ أَشَدُّ كُفْرًا مِنَ الكِتَابِيِّ!!

أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ هَؤُلَاءِ التَّكْفِيرِيِّينَ، وَأَنْ يَجْعَلَ كَيْدَهُمْ فِي نُحُورِهِمْ، وَأَنْ يَهْدِيَ شَبَابَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَىٰ مَا فِيهِ خَيْرُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ.

لَقَدْ أَبْقَىٰ اللهُ لَنَا الجَيْشَ المِصْرِيَّ، فَحَفِظَ اللهُ بِهِ هَذِهِ الأُمَّةَ إِلَىٰ يَوْمِ النَّاسِ هَذَا، وَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَحْفَظَهُ فِيمَا يَبْقَىٰ؛ إِنَّهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

*** عَلَى الْجَيشِ تَقْوَى الْبِلَادُ، وَبِالْعِلْمِ تَشْتَدُّ أَرْكَانُهَا**(١):

أَرَىٰ مِصْرَ يَلْهُو بِحَدِّ السِّلَاحِ ... وَيَلْعَبُ بِالنَّارِ وِلْدَانُهَا(٢)

وَرَاحَ بِغَيْرِ مَجَالِ الْعُقُولِ ... يُجِيلُ السِّيَاسَةَ غِلْمَانُهَا

وَمَا الْقَتْلُ تَحْيَا عَلَيْهِ الْبِلَادُ ... وَلَا هِمَّةُ الْقَوْلِ عُمْرَانُهَا

وَلَا الْحُكْمُ أَنْ تَنْقَضِي دَوْلَةٌ ... وَتُقْبِلَ أُخْرَىٰ وَأَعْوَانُهَا

وَلَكِنْ عَلَىٰ الْجَيشِ تَقْوَىٰ الْبِلَادُ ... وَبِالْعِلْمِ تَشْتَدُّ أَرْكَانُهَا(*)

❀❀❀

(١) الأبيات لأمير الشعراء أحمد شوقي، من قصيدة: (اعتداء) من ديوانه: «الشوقيات» (١/ ٢٦٢ - ٢٦٦).

(٢) (الولدان): الصبيان، جمع وليد.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: خُطْبَةِ: «الْجَيْشُ الْمِصْرِيُّ الْأَبِيُّ وَشَيْخُ الْحَدَّادِيَّةِ» - ١٥ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٩هـ/ ٦-١٠-٢٠١٧م.

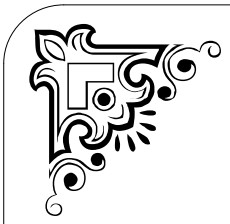

الْجَيْشُ فِي الْإِسْلَامِ هُوَ كُلُّ الْأُمَّةِ

مَاذَا لَوْ تَخَلَّى الشَّعْبُ عَنْ جَيْشِهِ؟!!

أَيُّهَا الْمِصْرِيُّونَ! لَا شَكَّ أَنَّ الْأَيَّامَ الْقَادِمَةَ تُعَدُّ مُنْعَطَفًا حَادًّا خَطِيرًا فِي تَارِيخِ هَذَا الْوَطَنِ وَفِي مُسْتَقْبَلِهِ.

وَالْآنَ لِسَانُ الْمِيزَانِ يَتَذَبْذَبُ بِلَا رُجْحَانٍ بَيْنَ كِفَّتَيْنِ: فَإِمَّا اسْتِقْرَارٌ وَهَنَاءٌ، وَإِمَّا فَوْضَىٰ وَشَقَاءٌ.

وَالَّذِي قَضَىٰ اللهُ أَنْ يَكُونَ مُرَجِّحًا إِحْدَىٰ الْكِفَّتَيْنِ هُوَ هَذَا الشَّعْبُ نَفْسُهُ، فَإِمَّا انْتَبَهَ، وَاجْتَمَعَ، وَأَدْرَكَ الرَّكْبَ فَسَلِمَ، وَإِمَّا غَفَلَ وَاخْتَلَفَ، وَتَخَلَّفَ عَنِ الرَّكْبِ فَضَاعَ وَنَدِمَ، وَلَاتَ سَاعَةَ مَنْدَمٍ!!

وَمِنْ حَقِّ شَعْبِنَا الْكَرِيمِ، بَلْ هُوَ وَاجِبٌ عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ الْإِجَابَةَ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ: مَاذَا لَوْ تَخَلَّىٰ الشَّعْبُ عَنْ جَيْشِهِ؟

وَالْإِجَابَةُ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ تَسْتَدْعِي الْإِجَابَةَ عَنْ سُؤَالٍ آخَرَ تُوَضِّحُهُ، وَهُوَ: وَكَيْفَ يَتَخَلَّىٰ الشَّعْبُ عَنْ جَيْشِهِ؟

وَالْجَوَابُ: بِأَنْ يَتْرُكَ الشَّعْبُ جَيْشَهُ بِلَا غِطَاءٍ دَاخِلِيٍّ، وَبِلَا غِطَاءٍ دَوْلِيٍّ.

فَأَمَّا الْغِطَاءُ الْمَحَلِيُّ: فَتَخَلِّي الشَّعْبِ عَنِ الْجَيْشِ بِأَنْ يَظَلَّ الْجُنُودُ وَالضُّبَّاطُ يُوَاجِهُونَ الْمَوْتَ بِصُدُورٍ عَارِيَةٍ، وَهِمَمٍ عَاتِيَةٍ، يُضْنِيهُمُ السَّهَرُ، وَيَحُفُّهُمُ الْخَطَرُ، تَتَرَاقَصُ حَوْلَهُمْ أَشْبَاحُ عَدُوٍّ يُكَفِّرُهُمْ، وَيَسْتَبِيحُ دِمَاءَهُمْ وَيَقْتُلُهُمْ، وَيَسْعَىٰ جَاهِدًا لِتَدْمِيرِهِمْ وَنَسْفِهِمْ.

وَيَبْقَىٰ الشَّعْبُ مَعَ هَذَا كُلِّهِ غَيْرَ مُدْرِكٍ لِحَقِيقَةِ الْأُمُورِ، يُطَالِبُ بِالْأَمَانِ، وَلَا يَبْذُلُ لِتَحْصِيلِهِ كَثِيرًا وَلَا قَلِيلًا!

وَيَطْلُبُ الْحِمَايَةَ، وَلَا يَسْلُكُ لِلْوُصُولِ إِلَيْهَا سَبِيلًا!!

وَأَنْ يَبْقَىٰ الشَّعْبُ غَيْرَ مُوقِنٍ بِأَنَّ لَهُ عَدُوًّا يُكَفِّرُهُ، وَيَسْتَحِلُّ دَمَهُ وَمَالَهُ وَعِرْضَهُ، وَقَدْ تَحَالَفَ هَذَا الْعَدُوُّ مَعَ عَدُوٍّ لِلشَّعْبِ آخَرَ؛ يَطْلُبُ دِيَارَهُ وَنِيلَهُ وَأَرْضَهُ.

أَنْ يَبْقَىٰ الشَّعْبُ مُبَدِّدًا لِوَقْتِهِ، مُنَعَّمًا بِدِفْئِهِ، طَالِبًا لِلَذَّاتِهِ، مُقْبِلًا عَلَىٰ مَلَذَّاتِهِ، غَيْرَ مُقَدِّرٍ تَقْدِيرًا صَحِيحًا حَقِيقَةَ مَا يُبْذَلُ لِيُنَعَّمَ بِذَلِكَ؛ مِنْ أَرْوَاحٍ زَاهِقَةٍ، وَدِمَاءٍ نَازِفَةٍ، وَجِرَاحٍ نِيرَانُ آلَامِهَا مُحْرِقَةٌ، وَآثَارُ جِرَاحِهَا صَاعِقَةٌ.

أَنْ يَبْقَىٰ الشَّعْبُ غَيْرَ مُدْرِكٍ أَنَّهُ يَخُوضُ حَرْبًا حَقِيقِيَّةً مَعَ عَدُوٍّ يَسْتَعْمِلُ كُلَّ وَسَائِلِ الْحَرْبِ الْقَذِرَةِ، مِمَّا لَا تُقِرُّهُ الشَّرَائِعُ وَلَا الْأَخْلَاقُ وَالْأَعْرَافُ.

وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ -يَعْنِي الْعَدُوَّ- يَعْتَقِدُهَا حَرْبًا مُقَدَّسَةً، تُسْتَبَاحُ فِي قُدْسِهَا الْأَنْفُسُ، وَتُرَاقُ الدِّمَاءُ، وَتُنْهَبُ الْأَمْوَالُ، وَتُهْتَكُ الْأَعْرَاضُ.

الْخَطَرُ الْحَقِيقِيُّ: هُوَ أَنْ يَبْقَىٰ الشَّعْبُ غَيْرَ مُدْرِكٍ أَنَّهُ فِي خَطَرٍ، فَإِنَّهُ أَخْطَرُ مِنَ الْخَطَرِ أَلَّا يُحِسَّ بِالْخَطَرِ مَنْ هُوَ فِي الْخَطَرِ.

فَإِنَّ الْخَطَرَ الْحَقِيقِيَّ هُوَ أَنْ يُحِسَّ الْمَرْءُ بِأَنَّهُ فِي أَمَانٍ فِي الْوَقْتِ الَّذِيٰ هُوَ فِيهِ قَدْ أَحَاطَهُ الْخَطَرُ.

إِذَا لَمْ يَشْكُرِ الشَّعْبُ أَفْرَادًا؛ الَّذِينَ جَعَلُوا النِّعْمَةَ وَاصِلَةً إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَنْ سَبِيلِهِمْ، إِذَا لَمْ يَشْكُرْ أَفْرَادُ الشَّعْبِ نِعْمَةَ الدِّفْءِ الَّتِي لَا يَجِدُهَا مَنْ يُجَمِّدُ الْبَرْدُ أَطْرَافَهُ، وَهُوَ سَاهِرٌ لِحِمَايَتِهِ؛ لِيَنْعَمُوا بِدِفْئِهِمْ وَنَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَشْكُرُوا نِعْمَةَ الْأَمْنِ الَّتِي يَفْقِدُهَا مَنْ يَسْتَهِينُ بِالْخَطَرِ، وَهُوَ مُتَوَقِّعٌ لِلْمَوْتِ، مُرَابِطٌ لِأَجْلِ أَمْنِهِمْ وَأَمَانِهِمْ.

إِذَا لَمْ يُحِسَّ أَفْرَادُ الشَّعْبِ ذَلِكَ وَلَمْ يُدْرِكُوهُ؛ فَقَدْ تَخَلَّوْا عَنْ حُرَّاسِهِمُ السَّاهِرِينَ وَأَبْطَالِهِمُ الْمُرَابِطِينَ.

إِذَا بَقِيَتْ جُمُوعُ الشَّعْبِ مُسْتَغْرِقَةً فِي الْهُمُومِ الصَّغِيرَةِ، وَالْأَغْرَاضِ الْقَلِيلَةِ، تُبَدِّدُ طَاقَاتِهَا فِي خِلَافَاتِهَا الْقَرِيبَةِ، وَتُبَعْثِرُ جُهُودَهَا فِي مَآرِبِهَا الْيَسِيرَةِ، مُنْشَغِلَةً بِمَعَارِكِ الْحَوَارِي، تَارِكَةً سَاحَةَ النِّزَالِ الْحَقِيقِيَّةِ تَعْبَثُ فِيهَا أَشْبَاحُ الظَّلَامِ إِفْسَادًا وَتَخْرِيبًا، وَتَزْرَعُ فِي أَرْجَائِهَا الْأَحْزَانَ تَرْوِيعًا وَتَرْهِيبًا.

إِذَا بَقِيَ الشَّعْبُ كَذَلِكَ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ تَخَلَّىٰ عَنْ جَيْشِهِ الْمُنَاضِلِ!!

وَأَمَّا كَيْفَ يَتْرُكُ الشَّعْبُ جَيْشَهُ بِلَا غِطَاءٍ دَوْلِيٍّ؟

فَذَلِكَ فِي جُمْلَةٍ قَصِيرَةٍ جَامِعَةٍ: بِأَنْ يَدْعُوَ الشَّعْبُ جَيْشَهُ؛ لِيَكُونَ نَاصِرَهُ وَمُعِينَهُ فِي تَحْقِيقِ مُرَادِهِ، فَإِذَا لَبَّاهُ، وَحَقَّقَ مُرَادَهُ، وَتَحَمَّلَ مَسْئُولِيَّةَ ذَلِكَ، وَتَعَرَّضَ لِأَخْطَارِهَا، وَذَاقَ مَرَارَةَ مَخَاطِرِهَا، مَضَىٰ الشَّعْبُ لِطِيَّتِهِ، وَقَدْ حَقَّقَ الْجَيْشُ بُغْيَتَهُ، وَتَرَكَ جَيْشَهُ يُصَوِّرُهُ أَعْدَاءُ الدِّينِ وَالْوَطَنِ بِأَنَّهُ لَمْ يَبْغِ إِلَّا مَصْلَحَتَهُ، وَلَمْ يُرِدْ سِوَىٰ مُرَادِهِ لَا مُرَادَ شَعْبِهِ.

إِنَّمَا يُنَاصِرُ الشَّعْبُ جَيْشَهُ فِي حَرْبِهِ وَكِفَاحِهِ بِأَنْ يَكُونَ ظَهِيرَهُ وَحِصْنَهُ، كَمَا أَنَّ جَيْشَهُ دِرْعُهُ وَسَيْفُهُ.

وَأَنْ يَكُونَ بِحَيْثُ إِذَا مَا دَعَاهُ لَبَّاهُ، وَإِذَا مَا طَلَبَهُ وَجَدَهُ، وَإِذَا مَا اسْتَمْهَلَهُ أَمْهَلَهُ، وَإِذَا مَا اسْتَنْظَرَهُ أَنْظَرَهُ.

وَأَنْ يَكُونَ مَعَ جَيْشِهِ بُنْيَانًا مَرْصُوصًا، فَلَا يَجْرُؤُ حَاقِدٌ وَلَا مُعَادٍ أَنْ يَدَّعِيَ أَنَّ الْجَيْشَ صَنَعَ لِنَفْسِهِ، وَلَا صَنَعَ شَيْئًا بِنَفْسِهِ، بَلْ هُوَ فِي خِدْمَةِ شَعْبِهِ، وَرَهْنَ إِشَارَتِهِ وَأَمْرِهِ.

وَأَمَّا السُّؤَالُ الْأَوَّلُ وَهُوَ: مَاذَا لَوْ تَخَلَّىٰ الشَّعْبُ عَنْ جَيْشِهِ، فَتَرَكَهُ بِلَا غِطَاءٍ مَحَلِيٍّ وَلَا غِطَاءٍ دَوْلِيٍّ؟

فَالْجَوَابُ هُوَ: خَرَابُ الْبِلَادِ، وَإِفْسَادُ الْعِبَادِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْأَعْدَاءَ يَتَرَبَّصُونَ كُلُّهُمْ مُنْتَظِرِينَ مَا تُسْفِرُ عَنْهُ الْأَيَّامُ الْمُقْبِلَةُ، وَهُمْ جَادُّونَ فِي مُؤَامَرَاتِهِمْ؛ لِإِحْدَاثِ الْفَوْضَىٰ فِي الْبِلَادِ.

إِنَّ الْجَيْشَ الْمِصْرِيَّ هُوَ حَائِطُ الصَّدِّ الْبَاقِي دُونَ إِنْفَاذِ الْمُخَطَّطِ الصُّهْيُونِيِّ الصَّلِيبِيِّ التُّرْكِيِّ الْقَطَرِيِّ الْحَمَاسِيِّ الْإِخْوَانِيِّ فِي الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

وَالتَّخَلِّي عَنْهُ دَاخِلِيًّا أَوْ خَارِجِيًّا خِيَانَةٌ لِلدِّينِ وَخِيَانَةٌ لِلْوَطَنِ.

إِنَّ الْأَيَّامَ الْقَادِمَةَ أَيَّامٌ حَاسِمَةٌ، لَا فِي تَارِيخِ مِصْرَ وَمُسْتَقْبَلِهَا وَحْدَهَا، بَلْ فِي تَارِيخِ وَمُسْتَقْبَلِ الدُّوَلِ الْإِسْلَامِيَّةِ كُلِّهَا.

وَالنَّتِيجَةُ: إِمَّا أَنْ تَنْحَسِرَ مَوْجَاتُ التَّآمُرِ، وَأَنْ تَنْحَسِرَ مَوْجَاتُ الْإِرْهَابِ عَنِ الْمَنْطِقَةِ كُلِّهَا، وَإِمَّا أَنْ يَنْهَارَ حَائِطُ الصَّدِّ الْبَاقِي -سَلَّمَهُ اللهُ مِنْ كُلِّ سُوءٍ-.

وَحِينَئِذٍ يَتِمُّ التَّفْتِيتُ، بِإِنْفَاذِ (مُخَطَّطِ بِرْنَارَد لِويس)؛ لِتَفْتِيتِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ، فَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ.

وَكُلُّ مَا تَرَاهُ وَمَا لَا تَرَاهُ، وَكُلُّ مَا تَعْلَمُهُ وَمَا لَا تَعْلَمُهُ إِنَّمَا هُوَ مِنْ أَجْلِ الْوُصُولِ إِلَىٰ إِنْفَاذِ هَذَا الْمُخَطَّطِ.

وَ(بِرْنَارَدُ لِويس): هُوَ مُسْتَشْرِقٌ بِرِيطَانِيُّ الْأَصْلِ، يَهُودِيُّ الدِّيَانَةِ، صُهْيُونِيُّ الِانْتِمَاءِ، أَمْرِيكِيُّ الْجِنْسِيَّةِ.

وَهُوَ صَاحِبُ أَخْطَرِ مَشْرُوعٍ فِي الْقَرْنِ الْمَاضِي -وَمَا زَالَ مُمْتَدًّا مُسْتَمِرًّا- لِتَفْتِيتِ الْعَالِمِ الْعَرَبِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ مِنْ بَاكِسْتَانَ إِلَىٰ الْمَغْرِبِ، وَقَدْ نَشَرَتْهُ «مَجَلَّةُ وَزَارَةِ الدِّفَاعِ الْأَمْرِيكِيَّةِ».

انْتَبِهُوا -عِبَادَ اللهِ- وَاعْلَمُوا أَنَّ حَائِطَ الصَّدِّ الْبَاقِي الْيَوْمَ هُوَ الْجَيْشُ الْمِصْرِيُّ.

يَا أَيُّهَا الشَّعْبُ! إِنَّ أَيَّامَكَ الْمُقْبِلَةَ أَيَّامٌ حَاسِمَةٌ -نَسْأَلُ اللهَ فِيهَا السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ-.(*).

فَنَسْأَلُ اللهَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ- أَنْ يَحْفَظَ عَلَىٰ هَذِهِ الْأُمَّةِ جَيْشَهَا وَأَمْنَهَا، وَأَنْ يُؤَلِّفَ بَيْنَ قُلُوبِ أَبْنَائِهَا، وَأَنْ يَرُدَّ عَنْهَا كَيْدَ الْكَائِدِينَ وَمَكْرَ الْمَاكِرِينَ، وَتَآمُرَ الْمُتَآمِرِينَ.

إِنَّهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصحَابِهِ أَجمَعِينَ.(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «مَاذَا لَوْ تَخَلَّىٰ الشَّعْبُ عَنْ جَيْشِهِ؟!!» - الْجُمُعَةُ ٩ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٥هـ/ ١٠-١-٢٠١٤م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الْجَيْشُ الْمِصْرِيُّ الْأَبِيُّ وَشَيْخُ الْحَدَّادِيَّةِ» - ١٥ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٩هـ/ ٦-١٠-٢٠١٧م.

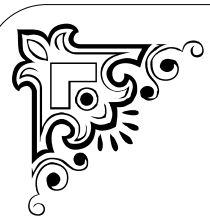

الفِهْرِسُ

مُقَدِّمَةٌ ٣

فَضْلُ الْجِهَادِ الشَّرْعِيِّ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَىٰ ٤

الْجِهَادُ الشَّرْعِيُّ بَيْنَ فَرْضِ الْعَيْنِ وَفَرْضِ الْكِفَايَةِ ٩

الْجِهَادُ يَكُونُ فَرْضًا عَلَىٰ الْكِفَايَةِ، إِذَا قَامَ بِهِ قَوْمٌ، سَقَطَ عَنِ الْبَاقِينَ فِي حَالَاتٍ ١٣

قَدْ يَصِيرُ الْجِهَادُ فَرْضَ عَيْنٍ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ، وَذَلِكَ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ ١٦

الْأَوَّلُ: إِذَا نَزَلَ الْكُفَّارُ بِبَلَدٍ، تَعَيَّنَ عَلَىٰ أَهْلِهِ قِتَالُهُمْ وَدَفْعُهُمْ ١٦

الثَّانِي: عِنْدَ النَّفِيرِ الْعَامِّ الْكُلُّ مُلْزَمٌ بِالنَّفْرِ؛ إِجَابَةً لِأَمْرِ الْإِمَامِ -الْحَاكِمِ-، إِلَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْأَعْذَارِ ١٧

الثَّالِثُ: عِنْدَ لِقَاءِ الْعُدُوِّ: فَقَدْ أَمَرَ اللهُ وَرَسُولُهُ ﷺ بِالثَّبَاتِ عِنْدَ لِقَاءِ الْعَدُوِّ، فَهُوَ فَرْضُ عَيْنٍ حِينَئِذٍ، وَالْفِرَارُ مِنَ الْكَبَائِرِ ١٨

الْحُبُّ الْفِطْرِيُّ لِلْأَوْطَانِ ٢٠

حُبُّ الوَطَنِ الْإِسْلَامِيِّ مِنْ تَقْوَىٰ اللهِ ﷻ ٢١

* اتَّقِ اللهَ فِي وَطَنِكَ..... ٢٢
الدِّفَاعُ عَنْ وَطَنِنَا الْإِسْلَامِيِّ جِهَادٌ شَرْعِيٌّ..... ٢٤
مِصْرُ الْغَالِيَةُ صَخْرَةُ الْإِسْلَامِ..... ٢٧
نِعْمَةُ الْأَمْنِ وَالِاسْتِقْرَارِ فِي الْوَطَنِ الْمُسْلِمِ..... ٣١
وَسَائِلُ الدِّفَاعِ عَنِ الْوَطَنِ الْإِسْلَامِيِّ وَحِمَايَتِهِ..... ٣٢
* مِنْ كُبْرَىٰ وَسَائِلِ حِمَايَةِ الْوَطَنِ: لُزُومُ التَّقْوَىٰ..... ٣٢
* السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِلْحُكَّامِ، وَعَدَمُ إِثَارَةِ الْفَوْضَىٰ مِنْ أَهَمِّ وَسَائِلِ حِمَايَةِ الْوَطَنِ وَالدِّفَاعِ عَنْهُ..... ٣٤
* مِنْ أَعْظَمِ سُبُلِ حِمَايَةِ الْوَطَنِ: التَّمَسُّكُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ..... ٣٦
* مِنْ أَكْبَرِ وَسَائِلِ الدِّفَاعِ عَنِ الْوَطَنِ الْإِسْلَامِيِّ: إِصْلَاحُ الْعَقِيدَةِ وَتَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ..... ٣٩
* مِنْ أَهَمِّ وَسَائِلِ الدِّفَاعِ عَنِ الْوَطَنِ الْإِسْلَامِيِّ: الدَّعْوَةُ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ..... ٤٤
* مِنْ أَهَمِّ وَسَائِلِ حِمَايَةِ الْوَطَنِ الْإِسْلَامِيِّ: الْعَمَلُ بِأَمَانَةٍ وَاجْتِهَادٍ..... ٤٦
* مِنْ أَهَمِّ وَسَائِلِ حِمَايَةِ الْوَطَنِ الْإِسْلَامِيِّ: الِاجْتِمَاعُ وَالْأُخُوَّةُ الصَّادِقَةُ... ٤٧
حِمَايَةُ الْوَطَنِ مِنَ الْإِرْهَابِ..... ٥٠
مَعْرَكَةٌ تَارِيخِيَّةٌ لِلْجَيْشِ الْمِصْرِيِّ فِي سَيْنَاءَ ضِدَّ الْإِرْهَابِ وَالْخِيَانَةِ..... ٥٦

* عَلَىٰ الْجَيشِ تَقْوَىٰ الْبِلَادُ، وَبِالْعِلْمِ تَشْتَدُّ أَرْكَانُهَا ٥٨
الْجَيْشُ فِي الْإِسْلَامِ هُوَ كُلُّ الْأُمَّةِ..... ٥٩
مَاذَا لَوْ تَخَلَّىٰ الشَّعْبُ عَنْ جَيْشِهِ؟!!..... ٥٩
الْفِهْرِسُ ٦٥